وزارة التعليم العالـي والبحث العلمي




جامعة العربي التبسي – تبســة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم: الفلسفة

LARBI TEBESSI UNIVERSITY, TEBESSA
UNIVERSITE LARBI TEBESSI – TEBESSA

الميدان: العلوم الانسانية والاجتماعية

الشعبة: علوم اجتماعية

التخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

العنوان:

اسس الفكر العقلاني عند ديكارت

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر " ل.م.د "

دفعة 2021

إعداد الطلبة :
1. رحال علجية

إشراف الأستاذ(ة):
د. مالك سماح

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة
احمد معط الله	استاذ محاضر – ب-	رئيسا
سماح مالك	استاذ محاضر– ب-	مشرفا ومقررا
فيصل زيات	استاذ محاضر – أ-	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2021/2020



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic OF Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH
جامعة العربي التبسي، تبسة
LARBI TEBESSI UNIVERSITY, TEBESSA



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social sciences

قســــم الفلسفـــــة

إذن بالطبــــــع

أنا الممضي أسفله الأستاذ(ة): مالك سماح

المشرف على مذكرة ماستر بعنوان: أسس الإيمان العقلاني عند ديكارت

والمكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص: فلسفـة غربيـة حديثـة ومعاصـــرة بعنـــــوان

السنة الجامعية: 2021/2020.

إعداد الطالب (ة) : رحال علجية

تتوفر فيها الشروط المنهجية والعلمية، الشكلية والموضوعية، التي تؤهلها للمناقشة العلنية بعد تشكيل لجنة المناقشة، وبناءا عليه أوقع على هذا الإذن للطالب(ة) المعني(ة) بطبع المذكرة وإيداعها لدى إدارة قسم الفلسفة بنسخها الورقية والالكترونية.

تبســة في :

توقيع الأستاذ(ة) المشرف:

SAMAH

 037 50 40 90  www.univ-tebessa.dz/fssh FSHSS.UnivTebessa@gmail.com



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic OF Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH
جامعة العربي التبسي، تبسة
LARBI TEBESSI UNIVERSITY, TEBESSA



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social sciences

قسـم الفلسفـة

تصريـح شـرفي

بالالتزام بالأمانة العلمية لإنجاز البحوث

ملحق القرار رقم933المؤرخ في 2016/02/20

أنا الممضي أسفلـه:

الطالب(ة): رحال علجية صاحب(ة) بطاقة التعريف الوطنية أو رخصة سياقة رقم:

100725760 الصادرة بتاريخ: . 27/04/2016عن دائرة/بلدية: بئر العاتر

المسجل في السنة الثانية ماستر تخصص: فلسفـة غربيـة حديثـة ومعاصـرة.

والمكلف بإنجاز مذكرة ماستر بعنوان: **اسس الفكر العقلاني عند ديكارت**

إشراف الأستاذ(ة) :د. مالك سماح

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالتقيد بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية المطلوبة في انجاز البحوث الأكاديمية وفقا لما نص عليه القرار رقم 933المؤرخ في 2016/07/20المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها.

التـاريخ: ....

2021 جوان 29

إمضـاء المعني بالأمـــر




بسم الله الرحمن الرحيم



شكر وعرفان

الحمد والشكر لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث، وبقدرته تعالى تجاوزت الكثير من الصعوبات

توجه بالشكر الجزيل الى الاستاذة المشرفة " مالك سماح" على نصائحها التي لم تبخل بها علي يوماً، والى كل اساتذة قسم الفلسفة بجامعة العربي التبسي – تبسة- مع احترامي الكبير لهم

رحال علجية



اهداء

اهدي عملي هذا:

الى اعظم قلب في الدنيا، واحن صدر في الوجود" امي الحبيبة"

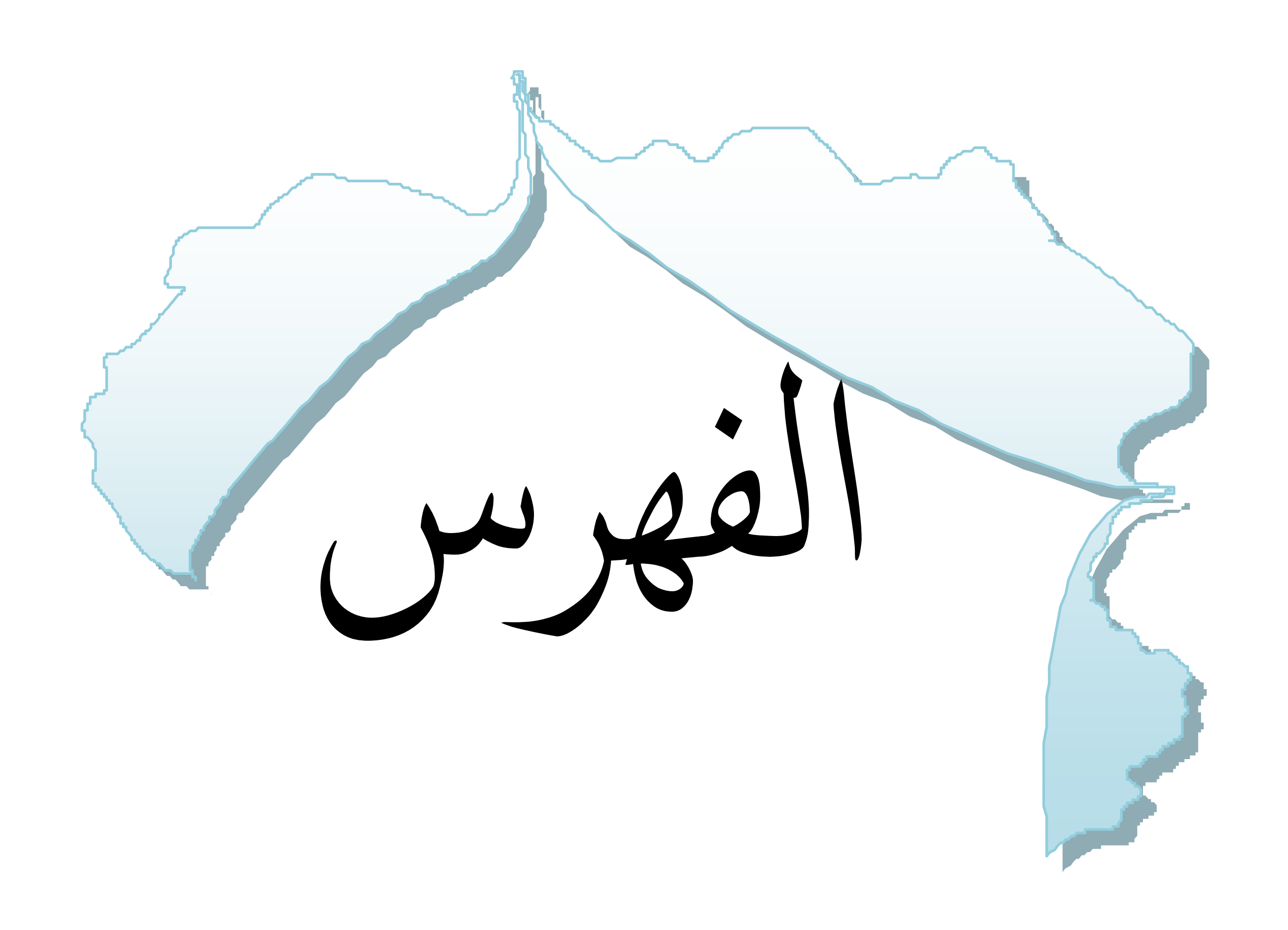
الى رجل المواقف، صاحب الكبرياء ورمز العطاء" ابي الغالي "

الى من ظل رافعاً يداه الى السماء راجيا من المولى ان يوفقني في دربي الطويل الى من هم حياتي " اخوتي الاحباء"

الى كل الاهل والاقارب والى الدي احمل معه اجمل وابهى ذكرياتي ، الى من قسموني الحلووالمر" صديقاتي وزملائي"، الى كل من ساعدني من قريب ومن بعيد، والى الذين يسرهم وجودي وكانوا معي في اجمل لحظات حياتي

الى كل الاحبة والاصدقاء " نجوى، دلال، رباب، الفة، سهيلة، روميسة، اميمة، منيرة"

رحال علجية



الفهرس

مقدمة

مقدمـة:

هناك موقفان رئيسيان من العقل، موقف يعتقد أن العقل مهما اختلف الزمان والمكان وضمن مجالات مختلفة يبقى أساسا كل شيء، وموقف فلسفي وابستيمي في آن واحد يعتبر أن العقل ظاهرة تاريخية، تمييز وبالتالي بين عقلانيات مختلفة، كأن يقول عقلانية يونانية عقلانية قرون وسطية، عقلانية حديثة، وهذا الموقف ينطلق من فكرة نسبية العقل ويحاول إبراز الصفات الخاصة لكل عقلانية.

ونستطيع أن نقول أن العقلانية اليونانية إتسمت بصفات خاصة منها عامل النقاش والجدال هذا العامل الذي ظهر في أثينا لا بين المدارس الفلسفية والمذاهب الفلسفية فقط بل في المادة الأثينية حول المسائل الرئيسية " الوجود، المعرفة، الفن، الكون" التي كانت تهم المدينة اليونانية أنذاك، والنقاش لم يكن مجرد عامل خارجي للعقلانية اليونانية بل إنه يندرج ضمن الموقف اليوناني من العقل.

إذن العقلانية اليونانية إتسمت بعامل النقاش والإعتقاد أن الحقيقة ستكون شيئا فشيئا عن طريق الجدال، وهذا ما أقر – أرسطو– أن الجدلية هي التي تتبلور مبادئ العقلية الأساسية مثل مبدأ عدم التناقض، وهذا المبدأ هو مبدأ مؤسس للعلم، لكن العلم لا يؤسس هذا المبدأ بل يبقى في مجال البحث الجدلي.

أما فلاسفة العصر الوسيط من مسيحيين ومسلمين، فإنهم بذلوا كل جهدهم وصرفوا كل وقتهم في التوفيق بين العقل والنقل، اي ان العقلانية الوسيطية كان شغلها الشاغل محاولة الفصل بين الكنيسة والدين.

ولتبيان الإختلاف بين هذا النوع من العقلانيات والعقلانية الحديثة، يمكن أن نعتبر أن عقلانية القرن السابع عشر بدأت مع فرنسيس بيكون ورينيه وديكارت، فالأول بدعوته إلى التخلي عن الميتافيزيقيا باعتبارها دراسة عقيمة، وتفتقر إلى النتائج الواقعية وتتجه إلى العلوم الإختبارية، يبدو أن هذه العلوم كانت مزيجا من الخرافات والأوهام، فالمعرفة العلمية التي ينادي بها بيكون تهدف إلى جعلنا أسياد الطبيعة.

أما مع ديكارت أصبح يعتقد أن العقل مهما كان موازيا للواقع هو عقل إبستيمي إنساني، أي ليس هناك وجود عقلي خارج الإنسان، وهذا العقل منسجم تماما، أي أن إختلاف المجالات التي يبحث فيها العقل لا تجعل العقل مختلفا، بل إن ديكارت يلح على أن العقل يمكن له أن يعرف الذات والوجود بنفس المعايير، فالعقل الديكارتي يوحد مجال المعرفة ويوجد نفسه في الآن نفسه ويركز على ضرورة الوضوح والبداهة والتمييز ويعطي القيمة الأولى للعقل العارف لا العقل كما هو، ويبين ديكارت أنه لا مجال للنقاش والحوار ضمن هذا العقل الجديد.

لقد حاول ديكارت عبر تجربة " الشك المنهجي" أن يخلص العقل من الأفكار السائدة والآراء المسبقة لكي يصل إلى الحقيقة.

-أما الدافع وراء اختيار هذا الموضوع هو أن ديكارت كان موضوع جدل ونقاش حاد بين المفكرين، وقد تعرضت فلسفة القراءات عديدة باعتباره بوابة الولوج إلى الحداثة الغربية هذه الأخيرة أثارت في نفسي جملة من التساؤلات دفعتني لطرق باب فلسفة ديكارت.

اما فيما يتعلق بالمنهج المعتمد في دراستنا هذه، هو المنهج التاريخي التحليلي كونه الانسب، فالتاريخي يتجلى في الفصل الاول اين قمنا بتتبع اهم التحولات الكبرى التي شهدها الفكر الغربي وافرزه الحديث التجريبي والعقلاني في الفصلين الثاني والثالث بتحليل الجهاز المفاهيمي الديكارتي : العقل، المنهج، الوضوح، الانبساط...الخ)

ولهذا نطرح الاشكال التالي: ماهي الاسس والمقومات التي بني عليها النسق العقلاني الديكارتي؟، والتي تندرج ضمنها مجموعة من التساؤلات الفرعية، ماهي طبيعة العقل عند ديكارت؟، وما هي شروط المعرفة العقلية؟، وما علاقة العقل بالمنهج داخل الفكر الديكارتي؟.

ولمحاولة الإجابة عن هذا التساؤل فقد ارتأيت تقسيمه إلى ثلاثة فصول في الفصل الأول تناولت فيه معالم التحولات الكبرى في تاريخ الفلسفة مع ذكر أهم الخصائص الحضارية التي سادت تلك الفترة وقد فصلت فيها في مبحثين المبحث الأول تناولت فيه

عصر النهضة سواء كانت في إيطاليا أو خارجها وحركة الإصلاح الديني أما في المبحث الثاني تناولت فيه حركة نشأة العلم الحديث، وأهم المحطات الأساسية التي ساهمت في التكوين الفكري للفيلسوف، وهذا ما أدرجته في المطلب الثالث في حين يتعلق هذا المطلب بما تركه ديكارت من مؤلفات.

وفي الفصل الثاني تناولت فيه العقل والمنهج في المبحث الأول قمت بضبط مفاهيم العقل والعقلي والعقلانية ثم المذهب العقلي ككل، أما في المبحث الثاني " المنهج إلى الفلسفة أي من التأسيس إلى البناء وتناولت الحدس والإستدلال باعتبارها طريقتين للمعرفة اليقينية والوضوح، واليقين باعتباره الأساس الأول للفكر.

أما الفصل الثالث العقل والمنهج عند ديكارت وفصلت فيه أربع مباحث في المبحث الأول تناولت فيه الشك والتفكير عند ديكارت تناولت فيه جذور الشك عند ديكارت من فلاسفة يونان وفلاسفة مسلمين وفي المبحث الثاني الشك الديكارتي والكوجيتو باعتباره المبدأ اليقيني الأول الذي لا يمكن الشك فيه، أما في المبحث الثالث الآنية باعتبارها ذات مفكرة تدرك نفسها بنفسها غير متاحة لغيرها لكي توجد، وفي المبحث الرابع فهو بمثابة إمتدادات وانتقادات من معاصري الفيلسوف وهذا ما أدرجته في المطلب الأول ومن فلسفات معاصرة ومدارس مختلفة أدرجتها في المطلب الثاني والثالث والرابع.

تعتبر الدراسات السابقة في البحث الفلسفي مهمة للباحث، بحيث تساعده وتعمل على تزويده بالمفاهيم الضرورية التي يحتاجها اثناء سير بحثه، من هنا كان يلزم ان نستعين ببعض الدراسات السابقة من اجل فهم اسس الفكر العقلاني عند ديكارت.

إن المهمة الجديدة للفلسفة الحديثة، عبر عنها ديكارت في تعريفه للفلسفة، إذ شبهها بشجرة جذورها الميتافيزيقيا أو ما بعد الطبيعة وجذرها هو علم الطبيعة أو الفيزياء وفروعها مثل الطب والميكانيكا والأخلاق.

لتحليل الاشكالية وعناصرها الجزئية اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع من خلالها اتضحت معالم بحثنا، واهمها مؤلف رينيه ديكارت، مقال في المنهج، تر محمود

محمد الحضري، وايضاً مؤلفه الآخر: تأملات ميتافيزيقية، تر كمال الحاج، وكتاب ابراهيم مصطفى ابراهيم، تاريخ الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم.

فأهم هذه التساؤلات التي تدور حول هذه الإشكالية: ما هي الأسس التي بنى عليها ديكارت فكرة العقلاني؟.

وتكمن أهمية هذا الموضوع باعتبار أن الفلسفة الديكارتية وفلسفة " **الأفكار الواضحة**" أي أن الفلسفة الديكارتية رمز للحداثة الغربية ومؤسس لها من ناحية ومن ناحية أخرى قطيعة معرفية مع فلسفة القرون الوسطى.

وكأي بحث هناك العديد من الصعوبات والعراقيل التي تواجه الباحث في انجاز بحثه، منها كثرة المادة المعرفية فيما يتعلق بالفلسفة الحديثة، وعدم قدرتنا على التحكم بها وايضا صعوبة الجهاز المفاهيمي الديكارتي .

الفصل الاول

التحولات الكبرى في تاريخ الفلسفة

تمهيد

عرفت الفلسفة في تاريخها تحولات كبرى، والتي من خلالها تم إضافة الكثير من المعارف وإتيانها بمناهج ومذاهب جديدة، وسنتحدث في هذا الفصل عن هذه التحولات وفيما تتمثل؟ وذلك في ظهور عصر النهضة وأحداثه، نشأة علم حديث وفلسفة جديدة.

المبحث الأول: عصر النهضة

المطلب الأول: حركة الاصلاح الديني وانتاج العقل:

لما كان الفكر الغربي في بداياته الأولى، ظهر في صلب الكنيسة العديد من الهزات التي توحي بوقوع تصدع، وهذا ما أحدث انقساما كبيرا، رغم حرص الكنيسة وتفطنها للحفاظ على مكانتها الأرضية والسماوية، ضد الأباطرة التي طالما تميزت علاقتها بهم بالتوتر والصراع والحروب الدائمة، علما أن الكنيسة في هذه الفترة لم تعد قوة يستهان كما من قوة عسكرية وثروة مالية جمعت عن طريق الضرائب وصكوك الغفران المزعومة.

هذه الصراعات المتتالية التي عرفتها الكنيسة وما تبعها من انقسامات كانت أهم العوامل المؤثرة لظهور فكر علماني غربي، فظهرت البروتستانتية باعتبارها أهم انعطاف في تاريخ الفكر الديني في عصر النهضة والذي استطاعت أوروبا أن تحقق منجزاتها المدنية والحضارية، وقد اعتبر التوجه نحوالعقل والثورة على الدين ومؤسساته هي النقلة ذات الدور الأساسي في تحرير الانسان الغربي من جهة والنقلة التي استطاعت أن تؤسس لهذا الغرب القوي الآن على مستوى الحضارة العلمية وعلى مستوى ازدهار العلوم[1].

وقبل هذا فقد شهدت الكنيسة ما يصطلح عليه "بالانقسام الاكبر" الذي امتد من (1378-1418م) دام قرابة أربعين سنة عرف صراعات متواصلة بين البابوات -بابا فرنسا وبابا روما- ليزيد الوضع داخل الكنيسة تعقيدا، ولهذا تم اللجوء إلى اختيار بابا ثالثا تميزت آراءه بنوع من الانفتاح لفض النزاع بطرق سلمية.

---

(1) فرغلي علي تسن: تاريخ أوروبا المعاصر، د تر، دار الوفاء للطباعة، الاسكندرية، د ط، ص 48.

كانت أوروبا تطلب التحرر من سلطتين استبدتا بها هما سلطة الكنيسة (البابوات) وسلطة الملوك، فقد كان البابا يسيطر على السلطة السياسية ويدعي حق السيادة على الأباطرة والملوك وقد قال أنست الثالث IMACENT III (1198-1216م) إبان عهد غريغوري السابع Gregory IIX (1227-1241م) "انه لا خلاص الانسان في العالم ما لم يخضع للبابا، فأنا قيصر وأنا الامبراطور الحقيقي صاحب السيادة على جميع أمراء الأرض"
فكان البابا ومن معه يتمتعون بالراحة والملك في روما، وهنا يبسطون سلطتهم على جميع أنحاء أوروبا ظلما وإكراها وتسلطا يقول غريغوري السابع "من ليس مع الكنيسة الرومانية ليس كاثوليكي"[1] فالكنيسة كان هدفها هوالظفر بولاء الأمراء والملوك وهؤلاء كانوا يدعون أنهم يجسدون الأمر الإلهي على الأرض، وهذا ما كان ينبؤ بنشوب ثورة تعلن استقلال الشعوب من الادعاءات الخلاصية (الكاثوليكية) للبابوية وادعاءات الملوك المسيحيين على الأرض.
فبدأ الانفصال تدريجيا وجزئيا عن الكرسي الرسولي بدءا بفرنسا بدءا من عهد فيليب الجميل philippe le bel الذي حكم من (1285-1314م) حيث تصدى للتدخل البابوي في الشؤون الفرنسية خلال نزاعه مع "البابا بونيفاس" الثامن مدشنا عهد سياسة مستقلة عن روما أوما يصطلح عليه بالغاليكانية أي القانون الذي لم يعد ملك فرنسا يعترف تبعا له بأية سطلة عليا على هذه الأرض التي تخلت وفق مرسوم "بورج bourges (1438م) الذي صدر من طرف "شارل السابع" والموجه ضد سلطة البابوات وقد وزعت هذه المعاهدة عام 1516م، وتعززت الغاليكانية مع "ريشيليو" richelieu ثم بلغت أوجها في عهد لويس الرابع عشر بدعم من كتابات بوسويه "Bossuet" العقائدية إذ كتب عام "1682م" إعلانا لإلكيروس فرنسا يشير فيه "أنه ليس للبابا والكنيسة من سلطة سوى على الأمور الروحية وهي تتعلق

[1] المرجع السابق: ص 49.

بالخلاص الأبدي، ولا علاقة لها بالأمور المدنية والزمنية على الاطلاق ولا يخضع الملوك بالنسبة للأمور الزمنية إلى أية سلطة كنيسة بأمر من الله"[1]

ان ظهور زعماء التيارات التحررية أصبح عاملا أساسيا لابعاد الكنيسة عن الشؤون الدنيوية وتقليص مجال اشتغالها بالمسائل الروحية وهذا ما حد من سلطة البابا، وأعلن ميلاد كنيسة أكثر تحررا وانفتاحا وهي التيار البروتستانتي أوما يعرف بالتيار الاصلاحي على يد مارتن لوثر.

ولهذا نجد أن هذه الفترة شهدت محاولات عدة للتوفيق بين الدين والدولة فنشأ التيار الكاثوليكي الليبرالي ومن رواده "لمونيه lemennais" وكان شعاره "كنيسة قوية في دولة حرة"[2] مستعيدا بذلك فكرة الكنيسة الوطنية المستنيرة " للأب غوريغوار"، وقد أدانت الكنيسة البابوية هذا التيار بشدة لمساندة مبدأ الفصل بين الدين والدولة.

ولهذا وجه لوثر نقدا عنيفا لمبادئ الكاثوليكية سنة "1519م" وأرسل دعوة لأمراء ألمانيا للأخذ بمبادئ التيار الاصلاحي الذي بني على ما يلي:

- خضوع رجال الدين للسلطة المدنية.
- تفسير الكتاب المقدس ليس حكرا على البابا وقام بترجمته إلى الألمانية.
- عدم الحج إلى روما.
- تقليص عدد الأديرة.
- ضرورة زواج رجال الدين (تخليصهم من العزوبية).

نلاحظ أن لوثر قد تمكن من اكتشاف الانسان والوقوف على قدراته اللامحدودة على الخلق والابداع والابتكار، وحرره من وطأة الكنيسة وحمايتها، ونفى القداسة عن رجال الدين وحرر الكتاب المقدس من قبضتهم وترجمه إلى الألمانية ليطلع عليه عامة الناس دون وساطة،

---

[1] فرغلي علي تسن: تاريخ أوروبا المعاصر، المرجع السابق: ص 49.

[2] محمد الحداد: ديانة الضمير الفردي ومصدر الاسلام في العصر الحديث، دار الهدى الاسلامي، ط1، 2007، ص 104.

ونحت مبدأ الخلاص من خلال الكتاب المقدس وحده، ومهد الطريق للانسان كي يكتشف نفسه بمعزل عن المؤسسة الكنسية التي كانت تسيطر على الناس فتفكر مكانهم وتقرر مصائرهم، وأصبح الايمان الفردي والحرية الذاتية ضرورة لوثرية، ولذلك سار على نهجه الكثيرين من أمثال "جون كالفن Jean calvein "(1509-1564م) إذ استفاد من الأفكار الدينية المنتشرة آنذاك كما اطلع على ما طرأ على الكنيسة من تحولات وانقسامات كبرى وتأثر بأفكار لوثر الاصلاحية، ونادى بضرورة دمج السلطة الدينية في السلطة السياسية واشراك غير القساوسة في شؤون الكنيسة، وترك حق الاختيار للشعب وأيضا "أوزليخ زنجل" في ألمانيا[1] الذي أكد على ضرورة أن تكون الكنيسة مؤسسة ديموقراطية لكل المسيحيين الذين يشتركون فيها باعتبارها هيئة موحدة تجمعهم.

إن التيارات اللادينية المتمثلة في الكنيسة الانجليزية التحررية أولا والكنائس البروتستانتية الأمريكية والتمردات اللوثرية بدءا من "1620م" والكالفينية بعد 1530م وثورة زوينفلي في سويسرا "1531م" قد كسرت الكثلكة، وأبعدت الكنيسة عن الأمور الدنيوية، وحدت من غطرسة البابا، وجعلت سلطته خاضعة لمجمع مسكوني أعلى منه، لهذا أصبح الاصلاح حدثا مهما في تاريخ أوروبا وتاريخ الكنيسة يقول " غيزو" "إن الاصلاح الديني حدث تعادل أهميته الثورة الفرنسية"[2].

وقد ظهر داخل الكنيسة نوعين من الكهنوت هما "الكهنوت القانوني" و"الكهنوت المعلمن" فالأول غلبت على أعمال أنصاره العبادات الكثيرة والفقر الشديد، والثاني تميزت أعمال مريديه بالاهتمام بالمسائل المدنية دون التمادي في الأمور الدينية، وكان سعيهم للتغيير والتحرر واضحا، وهذا ما كانت تتجاهله الكنيسة، وهيأ الأرضية بتقبل ما يمكن أن يطأ عليها من تغيرات داخلية وخارجية.

---

(1) فرغلي علي تسن: تاريخ أوروبا المعاصر، مرجع سابق، ص 90.

(2) محمد الحداد: مرجع سابق، ص 105.

لم تكتفي الكنيسة بما تفرضه من ممارسات لا أخلاقية قمعية داخل المجتمعات، بل امتد عدوانها إلى العلماء فمنهجها كان يرفض نتائج البحث العلمي المجرد ومعطياته، ولم يكن يريد للعقل أن يصادر جزءا كبيرا من مساحة السلطة التي تحتكرها الكنيسة كمؤسسة دينية ودنيوية (روحية، زمنية) فالعلماء أو"المحدثين الأوائل" كما تصفهم "كافني رايلي" هم من أكدوا الثقة بالعلم واليقين العقلي أمثل غاليلي Galilé (1564-1642)، ونيوتن "Newtion' (1642-1727م)، وآخرين كانوا لاهوتيين وقد حاولوا الوقوف على حقيقة الاله وفهمه واكتشاف العلاقة بين الذات والعالم الخارجي[1] ولهذا كانت أفكارهم تهدد الكنيسة باستمرار لهذا يمكن القول أن هناك ثورة للعقل في أوروبا انتقلت من العصور الدينية إلى ما يصطلح عليه بعصر اعتمادا للعقل وتأكيده بوصفه المرجعية الوحيدة للحضارة وللتطور وللابداع والتقدم، وتأكد للفكر الغربي أن المسار الديني والمنهجية الدينية هي منهجية معادية للعقل.

إن ظهور حركة الاصلاح الديني ونقدها للكاثوليكية، وظهور الكنائس المتحررة وعلى رأسها البروتستانتية أعطى الحماية للفرد غير المتدين فلم يعد يتعرض للضغط الكاثوليكي، وزعزع وحدة الكنيسة، وافرز عديد الأفكار حول التسامح الديني وأكد على ضرورة الفصل التام بين الكنيسة والدولة، وأصبح بإمكان الفرد أن بقرر متى يؤمن وبمن يؤمن.

بدأ التفكير العلمي ينشأ وبدأت أفكار العلماء تتبلور تدريجيا، فتعير مفهوم الحقيقة التي كانت تعني أساسا الحقيقة الدينية والالهية فهذه الحقيقة بدأت في التغير مع الفلكي نيكولا لاكوبيرنيكوس N. Coperuicos (1473-1543م)، فقد حطم ايمان الكنيسة حول ثبات الأرض ودوران الشمس وقدم نظريته الفلكية القائلة بدوران الأرض وكل كواكب المجموعة الشمسية حول الشمس، فدعمت أفكاره آراء غاليلي ونيوتن وخرج عن صمته الذي دام أكثر من ثلاثين عاما 30 عاما خوفا من بطش الكنيسة، واستمرت الأفكار العلمية وليدة التجربة والملاحظة بقوة ولقت دعما من النخب المثقفة ومنهم رجال الدين المتحررين، فازداد حقد

---

[1] كافين رايلي: الغرب و العالم، القسم الاول، تر عبد الوهاب المسيري ، هدى عبد السميع حجازي ، مراجعة فؤاد زكرياء، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب، الكويت ، العدد 90 ، 1985 ، ص 91

الكنيسة على العلم والعلماء وبدأت ترتكب مجازر على رأسها احراق جيوردانوبرونوسنة 1600م (Giordano Bruno) (1548-1600م) ظنا منها أنها تقضي على العلم والعلماء ولكن هذا لم يزد الفكر العلمي إلا تأججا وقوة وحد من ثقة الناس بالكنيسة ونفرهم منها ومن تعاليمها ودعم المنهج العلمي. [1]

هذه الممارسات ساعدت على توسيع التصدعات وخلقت تمردا كبيرا في تاريخ الكنيسة أعطى المذهب البروتستانتي الذي حفز الطبقات السياسية على التحالف ضد الكنيسة للحد من أملاكها وسلطتها المطلقة من هنا كان للتيار البروتستانتي دور مهم في ظهور العلمنة والعقلنة، ليخلق أوضاع جديدة ورؤى مغايرة لم تتعود عليها الكنيسة، فكانت البروتستانتية نقدا للدين من رحم الدين، وكانت مقالات لوثر ذات أهمية إذ كشفت السكوت عنه والممنوع التفكير فيه، فشكلت أفكاره قاعدة فكرية لمن جاء بعده من فلاسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر أمثال هيجل الذي يرى أن مصدره الأول في تركيب منهجه الجدلي هوثورة لوثر الاصلاحية. [2]

لم تتماسك الكنيسة الكاثوليكية أمام الاصلاحات البروتستانتية المتحررة والمنفتحة على قوة العقل والمنطق فقد سعوا لاستئصال هذا الفكر، فكانت الحروب والصراعات وتحالف الملوك والأباطرة مع الكنيسة، فكانت واقعة سان برتلي "saint Barthelemy" عام 1572م وفيها قضى على عشرات الآلاف من البروتستانت، ولكن هذا القمع لم يزد هذا المذهب إلا قوة وتجذرا وزاد أنصاره يوما بعد يوم لأنهم وجدوا فيه الدفاع عن الفكر والحرية. وفي المقابل تنامى الحقد والتمرد على الكاثوليك، فبعد هذه الثورة التي قدم فيها البروتستانت ما لديهم أصبحت العلمانية هي المطلب الرئيسي لهم، لأنها تمثل حماية لهم ولغيرهم من الأقليات.

---

[1] الزواوي بغورة: ما بعد الحداثة والتنوير، موقف الأنطولوجيا التاريخية، دراسة نقدية، دار الطليعة بيروت، ط1، 2009، ص 80.

[2] محمد الحداد: مرجع سابق، ص 200.

ولهذا يمكن القول أن الحركة البروتستانتية ساندت العلم كثيرا، وساهمت في الثورة على التقليدي ورسخت فكرة لدى الشعوب مفادها الثقة بالعقل والايمان بقدرته وجرأته على النقد والتحليل والنزول إلى الواقع وغيرت المفاهيم، وأبعدت الناس عن خرافات الكنيسة وحققت حرية الايمان والتدين ومع بزوغ القرن السادس عشر (16م) أصبحت الكنيسة الكاثوليكية عاجزة عن معارضة العلم والعلماء بالقتل والتعذيب والاعدام، والسبب في ذلك هوأن المجتمعات تطورت وتحررت، خاصة أن البدايات الأولى كانت من داخلها هي ذاتها، فانتشار البروتستانتية في جميع أنحاء أوروبا كان عاملا أساسيا للسير بأوروبا نحو التجديد وترسيخ مظاهر التسامح وتشجيع العلم والعلماء، إذن الانقسامات والتصدعات الدينية داخل الكنيسة أعطت دفعا قويا لحركة العلم من أجل تأسيس مجتمع حديث .

ومن هنا يمكن اعتبار حركة الإصلاح الديني ثاني حركة بعد حركة النهضة الأوروبية والتي كان له الأثر الكبير في تغير الكثير من المفاهيم والأفكار الدينية السائدة، لقد اتخذ من التغيرات الجديرة بالإهتمام في عصر النهضة في ظهور الأوروبي بصيغة جديدة متأنيا لما كان سائدا من قبل وأهم عامل هو الحرية، ما دفع إلى دخول هذا المصطلح إلى جمال الدين[1].

من هنا كان لدخول مفهوم الحرية إلى ميدان الدين تأثيرا واضحا وجليا في دبرة مباشرة نحو التحرر من سلطات الكنيسة ورجالها الذين يروجون لفكرة التبعية واستبعاد الناس من خلال صكوك الغفران وفكرة الإعتراف بالإضافة إلى مختلف الممارسات التي تكرس لمبدأ السلطة لآباء الكنائس وإستباحة مختلف القيام والتلاعب بالمفاهيم الدينية مما ولد ثورة مارتن لوثر على كل تلك الأفكار والطقوس واعتبرها مرفوضة وجائزة تكرس منطق السيطرة والخضوع

---

[1] شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا من النهضة على الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000، ص ص 23-25.

للكنيسة، لهذا نجد " أبان مارتن لوثر أن مثل هذه الأمور ما هي إلا خرافات لا أساس لها من الصحة فضلا على أنها بدع مرفوضة[1].

ومن الجدير بالذكر أن هذه الحركة قد عارضت الديانة المسيحية لكن بالمقابل دفعت لظهور البروتستانية، ومن هنا كان لفكرة الجدية دور كبير في فكرة الإصلاح الديني وهذا الأخير كان يسير وفق تيارين:

الأول: يرمي إلى إصلاح المجتمع على أساس التمسك بتعاليم الدين، مثل هذا الإتجاه الواهب جيروم سافونا.

الثاني: يرمي إلى إصلاح المجتمع دون التمسك بالإعتبارات الدينية وغيرهما مثل هذا الإتجاه نيكولا ميكافيلي.

نلاحظ أن بعد هاتين الحركتين تغيرت العديد من المفاهيم وأسند الإنسان الأوروبي المزيد من الحرية تجعله مبنيا ومنتجا، فيظهر بذلك العلم وتنشأ فلسفة حديثة، ما ولد صحوة فكرية مست مختلف التخصصات والتوجهات وأفرزت إبداعات وإنتاجات جديدة.

المطلب الثالث: حركة النهضة

اولا: النهضة في إيطاليا

ولقد كان من أثر تحرر الحكام من سلطة الكنيسة تحرر المدن الخمس الإيطالية من سلطة البابا:" ميلانو، البندقية، نابولي، فلورنسا، روما" فقد كان له الأثر القوي في دعوة رجال الفكر إلى التحرر من سلطة الكنيسة الأخلاقي وتمجيد الحرية الفردية، فلعل من أشهر أعلام النهضة في إيطاليا:" ليوناردو دافينشي، ومايكل أنجلو بواناروني وميكافيلي" وخير ممثل من الفلسفة السياسية هو " نيكولا ميكافيلي" (1467-1527)، هذا الأخير دخل الحياة العامة وهو لم يتعد الثالثة عشر من عمره فشاهد عن كتب الأوضاع التي تسود الحياة الإجتماعية الإيطالية، وما يسودها من خداعومكر وعلاقتها التي تحكمها المصلحة.

---

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء، ليبيا، الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001، ص 54.

فدون نظريته السياسية في كتابه " الأمير" سنة 1513م[1]، ففي هذا الكتاب لم يكن يعطي مواعظ أو نصائح للحكام والمواطنين ولم يقترح دستورا مثاليا يقتدي به الحكام، بل هو يصور الواقع والأوضاع السياسية الإيطالية، واهتم بكيفية خضوع المواطنين للحكام وكيف يحفظ حكمه، حيث كان يقدم نصائح للحاكم، (فهذا النصح صورة من تحرر النهضة الإيطالية من قواعد الدين والأخلاق)، وينصح الأمير بتحديد غاياته ويرسم له الوسائل التي تحقق له هذه الغايات، وقد جدد ميكافيلي ثلاث غايات أساسية يجب أن تسعى إليها الدولة (الإستقلال القومي، المحافظة على الأمن، وإقامة دستور منظم) وينصح ميكافيلي ضد الكنيسة ومعتقداتها والبعد عن التدين بعيدا عن أعين الناس، فلابد للحاكم أن يمتلك في بعض الأحيان قوة الأسد ودهاء الثعلب للحفاظ على حكمه من الإنهيار، فإذا أجنح الحاكم إلى الخير فحكمه سيزول، وطالما أن الناس متدينون فلابد للحاكم أن يتظاهر بالتدين لضمان إقبال الشعب عليه ونطقه به[2].

ثانياً: النهضة خارج إيطاليا

مع بداية القرن الخامس عشر بدأت النهضة الإيطالية للتسرب إلى سائر أقطار أوروبا ولا سيما (فرنسا، إنجلترا، ألمانيا) لكن هذه الدول لم تساير الإنحلال الخلقي والديني كما شهدتها إيطاليا، أخذت تشهد ثورة عامة على تدخل الكنيسة في الشؤون السياسية والفكرية ومن أشهر المفكرين التي عرفتهم أوروبا (توماس مور، فرنسيس بيكون) الإنجليزيان: **فتوماس مور** (1478–1553م) لاحظ فساد الدولة والكنيسة والمجتمع فلم يذهب ما ذهب إليه ميكافيلي الذي يدعو الملوك إلى الطغيان من أجل الحفاظ على سلوكهم " فمور" كان متدين بالرغم من كونه قسا، ولذا فإنه بدلا من أن يثور على الأوضاع السائدة في عصره، رسم صورة للمدينة الفاضلة في كتابه: " **اليوتوبيا**" وقد تصور على هذه المدينة أميرا يختاره الشعب مدى الحياة وعزله إذا أصبح طاغية، وقد تصور " **مور**" أبواب هذه

[1] مهدي فضل الله، مرجع سابق، ص ص 64–65.

[2] إبراهيم مصطفى، مرجع سابق، ص ص 48–50.

المدينة كلها مفتوحة ومتشابهة في شكلها الخارجي والداخلي، ومشرعة الأبواب فلا حاجة إلى إغلاقها لانعدام السرقة في أبواب متشابهة ويتبادلها مالكوها فيما بينهما كل عشر سنوات.[1]

أما من الناحية الإجتماعية فقد حث على الزواج وتوفير المستشفيات والمدارس التي تؤمن العلاج والعلم لكل أفراد الشعب وكل خروج عن هذه القوانين تخرج صاحبها من مواطنية المدينة.[2]

أما " فرانسيسي بيكون" (1561-1626م) فلعلنا لا نغالي إذ قلنا إن العلم التجريبي بدأ معه حيث أنه قام فلسفته على صرحين: الملاحظة الخارجية من ناحية، والتجربة العلمية من ناحية ثانية، وكان منهجه في البحث أو المنطق الجديد الذي أتى به ليزعزع به المنطق الأرسطي الهادف إلى تحرير العقل من الرواسب والمعتقدات المغروسة وذلك بتجنيب العقل في الوقوع ما سماه الأوهام الأربعة[3] إلا هي[4]

1-أوهام القبيلة (Idols of the tribe): هي تلك المتأصلة في الطبيعة البشرية.

2- أوهام الكهف (Idols of the cave):) : هي الآراء السابقة الشخصية المميزة للباحث للفرد.

3- أوهام السوق (Idols of the market-place):): هي تلك المتأصلة باستبداد الكلمات وصعوبة النجاة من تأثيرها على أذهاننا.

4- أوهام المسرح (Idols of the theatre):): هي المتأصلة بمذاهب الفكر المعترف بصحتها أي الخاصة بالموروث المكتسب من الإختلاف على اختلافهم.

---

(1) مهدي فضل الله، مرجع سابق، ص ص 66 – 67

(2) المرجع نفسه، ص 67.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د ط، سنة 1977، ص ص 83-84.

المبحث الثاني: نشأة العلم الحديث

لقد شهد أواخر القرن الخامس عشر ثورة عظيمة في مختلف العلوم (الكيمياء، الفلك، الطبيعيات والرياضيات) كان من أثرها ظهور إختراعات عديدة كالميكروسكوب (1590م) والتلسكوب...ومن أهم العلماء الذين ساهموا في نشأة العلم الحديث والنهضة العلمية الحديثة " كوبرنيك"، " كيلر"، "غاليلو".

*__كوبرنيك__ (1473م–1553م) وهو صاح الثورة الكوبرنيكية على الفلك البطليمي (نسبة إلى بطليموس اليوناني) الذي كان يعتقد أن الأرض ثابتة ومركز الكون والشمس وسائر الكواكب تدور حولها لكن كوبرنيك يرى العكس، إن الشمس هي الثابتة والأرض تدور حول نفسها وحول الشمس.

* **كيلر** (1571م–1630م) وتعد شهرته بقوله أن حركات الكواكب بيضاوية وليست كروية كما كان يعتقد بطليموس كوبرنيك.

*__جاليلو__ (1564م– 1642م) كان يعتقد أن الملاحظة والتجربة هما أساس قيام العلم الحديث، فقد اخترع مقياس النبض كما اخترع الترمو متر وساهم في تطوير إختراع التليسكوب، وكذلك اختراع الساعات حيث نجد هذا الأخير أقام نظريته على أساس الإستدلال الرياضي، حيث يعتبر الكون أشبه من الكتاب الرياضي، ولكي نفهم هذا الكتاب لابد أولا من فهم لغته الذي كتب بها، وهي الرموز، وإليه يرجع الفصل في اكتشاف قوانين كثيرة: القصور الذاتي، وقانون الأجسام الساقطة.

فالقانون الأول: مفاده أن كل جسم متحرك يستمر في حركته المعتادة، في خط مستقيم وبسرعة مطردة دون توقف إلا إذا طرأت عليه قوة توقف حركاته.

أما **القانون الثاني:** هو أن سرعة الأجسام سواء كانت ثقيلة أو خفيفة في سقوطها هي واحدة لا للتغير وذلك فيما إذا تجاهلنا فعل رد الهواء[1].

---

(1) مهدي فضل الله، مرجع سابق، ص ص 69–70–71.

وفي هذا الجو الفكري ولد أبو الفلسفة الحديثة أو الرائد الأول لهذه الفلسفة وهو رينيه ديكارت.

المطلب الأول: الرياضيات والفيزياء

كان ديكارت فيلسوفا ورياضيا، ورجل علم وكان عمله في الفلسفة والرياضيات ذا أهمية عظمى، وفي العلم مع كونه مشرفا، لم يكن في مستوى العلم عند بعض معاصريه.

وكان إسهامه العظيم في الهندسة هو ابتكاره للهندسة التحليلية وإن لم يكن في شكلها النهائي، وقد استخدم المنهج التحليلي الذي يفترض مشكلة محلولة، ويفحص نتائج الإفتراض، وطبق الجبر على الهندسة وفي هذين الأمرين الأخيرين كان له من سبقه إليهما- وفيما يختص بالأمر الأول، كان له من سبقه حتى بين القدامى والجديد عنده كان استخدامه المستويات، أعني تحديد موقع نقطة على سطح، يبعدها عن خطين معنيين، ولم يكتشف هونفسه كل قوة هذا المنهج، ولكنه بذل جهدا كافيا ليجعل المزيد من التقدم أمرا سهلا، ولم يكن هذا بأي حال إسهامه الوحيد في الرياضيات ولكنه كان الأهم.

وقد اعتبر أجسام الناس والحيوانات آلات، واعتبر الحيوانات آلات ذاتية تحكمها تماما قوانين الفيزياء وخالية من الشعور والوعي، والناس يختلفون عنها، فلهم نفس القيم في الغدة الصنوبرية، فهنالك تتصل النفس بالأرواح الحية وعبر هذا الإتصال يحدث التفاعل بين النفس والبدن وجملة كمية الحركة في العالم ثابتة، وبالتالي فالنفس لا تستطيع أن تؤثر فيها، ولكن يمكنها أن تغير إتجاه حركة الأرواح الحيوانية، ومن ثم وبطريق غير مباش، حركة أجزاء البدن الأخرى، وقد تخلت مدرسته عن هذا الجزء من نظريته أولهم جولينكس، مالبرانش، سبينوزا.[1]

---

[1] محمد فتحي الشنيطي، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث الفلسفية الحديثة، المصرية العامة للكتاب، 1977، ص (108-109-110)

فقد اكتشف علماء الفيزياء المحافظة على القوة الدافعة وبمقتضاها يثبت مجموع كمية الحركة في العالم في أي اتجاه معطى، وقد أظهر هذا أن ذلك النوع من فعل الذهن في المادة الذي تخيله " ديكارت" مستحيل.

يتقبل ديكارت أول قانون للحركة وطبقا له إذا ترك جسم لحاله، لتحدك بسرعة مطردة في خط مستقيم، ولكن ليس هنالك فعل على مسافته .

-بحث ديكارت في السرعة والتسارع، وصاغ قانون القصور الذاتي (أو العطالة) واهتم بالضوء وبالضبط قانون انكساره، وأنشأ الهندسة التحليلية، واستبدل الحروف الأشكال الهندسية، واهتم بالعلاقات الرياضية العامة.

- ألح ديكارت على أهمية المنهاج الرياضي وضرورة اصطناعه، لأنه وحدة طريق >اليقين، والمهم عنده هوليس تطبيق الرياضيات، بل المهم بالنسبة إليه، لأن كفيلسوف هوالحصول منها على طريقة تجنبنا من الوقوع في الخطأ وتهدينا إلى مستقيم التفكير.

- إذا تساءلنا عن نوعين الغرض الذي يوظفه ديكارت لتفسير ظاهرة منا، فنجده يكون مقبولا ومبررا في ثلاث حالات وهي:

أ- عندما تكون النتائج التي نستخلصها منه بالإستنتاج لتلك الظاهرة المدروسة حتى لوكان هناك احتمال بأن عنصرا واحدا آخرا خفيا هوالسبب الحقيقي للظاهرة.

ب- عندما تكون النتائج التي نستخلصها بالإستناج مشتقة تماما مع ما يحدث في الطبيعة أي إتساق القيم التي تعطى للمجهول في المعادلة الرياضية مع باقي عناصرها.

ج- اليقين الناتج من كون الغرض نفسه يصبح قانونا لا يمكن إستبداله بغيره.

-وأن منهج ديكارت المقترح لدراسة الظواهر الفيزيائية هومنهج فرض إستنتاجي يتميز عمله من الخصائص وهي:

- فيزياء ديكارت جاءت لتخدم ميتافيزيقيا كون أنه اعتمد على البداهة العقلية لا اكسية.

- لم يوظف ديكارت في الدراسة الفيزيائية على خلاف ما نجده عند غاليلوأونيوتن فيما بعد، كون أن الرياضيات عنده نموذج لليقين وليست وسيلة أوأداة له ومن هذه الناحية يمكن الإختلاف بينه وبين غاليو.[1]

- إشتهر ديكارت كعالم رياضيات كما اشتهر بأنه فيلسوف وقد أطلق إسمه على " الإحداثيات الديكارتية" وهوالذي إبتدأ مجموعة من أي الإصلاحات الشائعة الآن بين الرياضيين مثل تمثيل المجهول بواسطة الحروف (س، ص، ع) وتمثيل العلوم بأحرف (أ، ب، ج) كما ابتكر طريقة حديثة في التربيع والتعكيب بواسطة استخدام الأرقام كما هي الحال في (4)، كما دفع بالهندسة التحليلية بقوة إلى الإمام التي تعمل على حل المسائل الهندسية بطريقة أسهل.

وقد بين ديكارت في كتابه " الهندسة" كيف نستطيع إستخدام أكبر للتعرف على كثير من المشكلات النمطية في الهندسة، كما جمع بين الأشياء التي يمكن الربط بينها وبسبب نجاحه في عمل ذلك فقد اعتقد أن كافة المعارف البشرية يمكن في النهاية تحويلها إلى الشكل الرياضي.

يقول ديكارت " هذا ما جعلني أدرك أنه لابد أن يكون هناك علم عام، وأن هذا العلم ينبغي أن يمس " بالرياضيات".[2]

[1] محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة، تطور الفكر العلمي، مركز الدراسات الوحدة العربية، ص ص 262-265.

[2] ديف روبتسون وجودي جروفز، قدم لك ديكارت، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، شؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2001، ص 92.

المطلب الثاني: نبذة عن حياة ديكارت

يطلق معظم الباحثين على رينيه ديكارت " **أبو الفلسفة الحديثة**" وكيف لا وهو قد أتى بفلسفة مغايرة عما كان سائد طيلة عشرة قرون (الفلسفة المدرسية) وسيادتها على التفكير الفلسفي في أوروبا، حيث قام هذا الأخير بثورة على منطق أرسطو والعلم الطبيعي الذي ناد به، وابتكاره لمنهج مغاير لما ألفناه عن أرسطو وغيره من الفلاسفة.

حيث نجد أول الفلاسفة الذين أعطوا الإعتبار لفلسفة ديكارت هم الفلاسفة الألمان، وعلى رأسهم هيجل وشيلنج، يقول هيجل:" **إن ديكارت هو مؤسس الفلسفة الحديثة، إنه بطأ فقد استطاع أن يعود بالأشياء إلى بدايتها، وعاود البحث على أرض الفلسفة على استعادها بعد ضياع استمر ألف سنة**".

أما شيلنج فيرى:" **إن الطابع الذي يميز الفلسفة الحديثة هو الفصل بين المتناهي واللامتناهي وإن ديكارت قد عبر عن هذه الثنائية تعبيرا علميا وما الفلسفة النقدية إلا تحقيق تلك الفكرة التي بدأت بديكارت**".

على خلاف الفلاسفة الألمان نجد الفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل، هذا الأخير يشير إلى زيادة ديكارت بقوله:" **يعتبر رينيه ديكارت عادة مؤسس الفلسفة الحديثة، وبحق كما أظن...**".

1. حياة ديكارت

ولد رينيه ديكارت (René Descartes) في يوم 31 مارس 1596م في بلدة لاهاي (Lahaye) من مقاطعة التورين (Touraine) وهي مدينة صغيرة تقع بين مدينتي لوش (Luch) وشاتلرو (Chatellerant) على الجانب الأيمن لنهر الكروز[1].

---

(1) رواية عبد المنعم عباس، ديكارت والفلسفة العقلية، تقديم ومراجعة محمد علي أبو ريان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،د ط، بيروتن سمة 1996، ص 38.

وكانت أسرته من طبقة النبلاء المتوسطين، إذا كان أبوه " **بواكيم ديكارت**" مستشارا في برلمان إقليم بريتاني وكان جده من جهة أبيه طبيبا، أما جده من جهة أمه فقد كان حاكما لبواتيه.[1]

كان للفيلسوف ثلاثة أشقاء يكبرونه سنا هم " **بيير**" وقد ولد في عام 1598م، و "**جين**" التي ولدت بين عامي 1590-1595م وشقيق ثالث توفي في سن صغيرة، أما أمه فقد توفيت بعد بضعة أيام من ولادته بسبب مرض في رئتيها، حيث يذكر الفيلسوف، أنه ورث عنها سعالا جافا، وبشرة باهتة اللون وهذا العرض لازمه حتى سن العشرين، مما ظن الأطباء أنه سيتوفى في سن مبكرة لذلك وضع له والده مربية لتقوم على تربية وتنشئته حتى يذكر أنه حفظ لها حبا جما وتقديرا عظيما[2].

ويمكن تقسيم حياة ديكارت إلى ثلاث مراحل:

أ-المرحلة الأولى:

تمثل فترة دراسته في مدرسة " لافليش" سنة 1604م اليسوعية الشهيرة التي أسسها " هنري الرابع" وقد وصفها ديكارت فيما بعد في كتابه " **مقال عن المنهج**"، " **إنها من أشهر مدارس أوربا**"[3].

حيث تلقى تدريبا شاملا في علوم عصره، ولما كان ضعيف البني وأظهر مواهب ملحوظة أتيحت له مزايا غير عادية ويدرس بطريقة الخاصة حيث كان يقوم بمعظم أعماله وهو مضطجع على الفراش صباحا، وأن يدرس ويتأمل بنفسه، واستمرت هذه العادة طوال حياته حتى سافر إلى السويد[4].

---

(1) رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، دار الكتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1968، ص53.

(2) رواية عبد المنعم، مرجع سابق، ص ص 38-39.

(3) ديكارت، مقال عن المنهج، مصدر سابق، ص 112.

(4) وليم كلي رايت تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد احمد، دار المجلس الأعلى للثقافة الجزيرة، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة 2005، ص 93.

حيث أقام في كلية لافليش مدة ثماني سنوات، في السنوات الخمس الأولى قضاها في دراسة التاريخ والأدب والشعر والغات القديمة (اليونانية واللاتينية).[1]

وفي السنوات الثلاث الأخيرة من إقامته فيها تلقى دروسا في الفلسفة عبارة عن شروح لمؤلفات أرسطو (الأورغانون) في السنة الأولى أما في السنة الثانية الطبيعيات ما بعد الطبيعة وفي النفس في السنة الثالثة، والغرض من هذه الدراسة التهيئة لدراسة اللاهوت[2].

وكان علم الأخلاق يعلم مع المنطق والرياضيات مع الطبيعيات، فأستاذه في الفلسفة يدعى الأب " "**فرنسوا فيرون**" أما أستاذه في الرياضيات كان أحدهم يطلق عليه بإقليدس، حيث أثر على ديكارت أنه كان متمسكا بالدين ونابغا في الرياضيات حتى أنه كان يعجزهم[3].

وكان من جراء ملاحظته للأراء الفلسفية المتضاربة حول المسألة الواحدة، ودقة نتائج الرياضيات واليقين الذي يصاحبها ما دفعه على حد تعبير بعض الدارسين إلى التوسع في دراسة الرياضيات حيث اكتشف ما يسمى " بالهندسة التحليلية"[4].

تخرج الفيلسوف من كلية "لافليش" (La Fléche) سنة 1612م بعد تعلمه اللغة اللاتينية والرياضيات.

أما باقي العلوم الأخرى لم يستفد منها حيث ذكر ذلك في كتابه " **مقال عن المنهج**" : " .. **ذلك بأنني وجدت نفسي يحيرني نفسي يحيرني من الشكوك والضلالات، ما بدا لي معه أنني لم أكتسب من اجتهادي في التعليم إلا تبين شيئا فشيئا جهالتي**"[5].

ب- المرحلة الثانية:

وتمتد هذه المرحلة من عام 1613م إلى 1629 م قضاها في السفر والإرتجال من مكان إلى آخر فقصد باريس عام 1613م والتقى بالعالم الرياضي " **ميدورج**" كما التقى بصديقه

(1) مهدي فضل الله، مرجع سابق، ص 77.

(2) إميل برهييه، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابلشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1983، الجزء الرابع، ص63.

(3) ديكارت، مقال عن المنهج، مصدر سابق، ص 54.

(4) مهدي فضل الله، مرجع سابق، ص 77.

(5) ديكارت، مقال عن المنهج، مصدر سابق، ص 112.

وزميله منذ عهد الدراسة الأب " **مرسين**" وهنالك واصل دراسة القانون والطب وحصل على إجازة الحقوق عام 1616م.[1]

وفي سنة 1618م تطوع للخدمة الوطنية في جيش " **موريس دي ناسو**" في هولندا التي كانت وقتها حليفة فرنسا، فأرتبط هناك بصلة بدكتور في الطب في جامعة " **كان**" هو " **إسحاق بيكمان**" الذي أيقظه من سباته على حد تعبيره، إذ عرض عليه عددا وفيرا من المسائل الرياضية والطبيعية وكان يعالجنها معا وهذه تعد مرحلة هامة عند ديكارت، في الوقت الذي كان فيه العلم الطبيعي يتكون فيه تطبيق المنهج التجريبي والإستدلال الرياضي على الظواهر الطبيعية.[2]

وفي سنة 1619م ترك جيش الأمير إلى جيش آخر من جيوش الأمراء الألمان وفي قرية ألمانية مجاورة لمدينة " **أولم**" ينعزل ديكارت في غرفة دافئة كان يقضي فيها أيامه يفكر في منهج يوصل جميع الناس إلى الحقيقة في جميع العلوم[3].

وفي 10 نوفمبر 1619م، إذ يكتشف رؤية " **ليس للنفس الإنسانية فيها أي نصيب**" كما يقول هو نفسه، وقد دون هذا الحدث في رسالة صغيرة سماها " **أولمبيكا**" ومعناها في اللغة اليونانية " **الوطن الإلهي**".

يرى "ميلو" (أحد الدارسين لديكارت) أن صوت إلهيا يأمره بأن:" **إنهض وأقم هيكل العلوم جميعا بنفسك وأحذ في هذا حذو الشعراء وخذ بما تلهم كما يأخذون بما يلهمون وأعرض عن تعليم الكتب، إذ سوف تنمو بذور العلوم الموجودة في نفسك من تلقاء ذاتها، ولسوف تهدي إلى الإنسانية العلم العام الذي يسع كل شيء**"، لكن السؤال الذي يطرح نفسه إلى ماذا توصل ديكارت؟.

---

(1) إبراهيم مصطفى، مرجع سابق، ص 70.

(2) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، د س، ص ص 58-59.

(3) مهدي فضل الله، مرجع سابق، ص 78.

اختلف الآراء وتضاربت حول الإجابة عن هذا السؤال، فناشر رسالة ديكارت " **أولمبيكا**" فونسيه دي كازيل" يرى أنه:" اكتشف منهج الذي قام عليه فلسفته" و " مييه" يرى أنه " اكتشف قواعد المنهج والهندسة التحليلية" و " هملان" يرى:" **أن ديكارت اهتدى إلى الهندسة التحليلية وهي أحد وجوه منهجه العام**" و " **ميلو وآدام**" **يريان:" إن ديكارت واضع قواعد منهج علم عجيب دون معرفة طبيعة هذا العلم، هل هو الرياضة العامة أو الهندسة التحليلية**"[1].

وأغلب هذه الظنون أن المقصود بهذه الرؤيا " **منهج كلي**" يرد العلوم جميعا إلى الوحدة، ذلك المنهج الذي سيعلنه في المقال[2].

ج- المرحلة الثالثة

وفي سنة 1912 تقاعد عن الخدمة العسكرية، وواصل رحلته وتنقلاته، حيث تنقل مرة أخرى من ألمانيا إلى هولندا حيث استقربها والتقى بالأميرة " إليزابيث" حيث تبادل معها عدت روائع ما كتبه في الأخلاق والفلسفة، وبعد رحلته إلى هولندا ارتحل إلى " **بريتني**" و "**بوانتو**" وذلك عام 1622م، حيث باع كل أملاكه حتى يتكفل بمشروعه العلمي والفلسفي ثم واصل رحلاته وتنقلاته فسافر إلى سويسرا ثم إلى إيطاليا ثم توجه بعد ذلك إلى فرانكفورت[3]. بعد هذه الرحلات الطويلة، أراد الفيلسوف أن يستقر في فرنسا ليمارس نشاطه العلمي والفلسفي غير أن هذه المدينة الصاخبة لم تسمح له في مراجعة تاملاته وتنظيم أفكاره مما دفع بالفيلسوف إلى السفر طالبا الهدوء والإستقرار الذي افتقده في ضوضاء باريس حيث استقر في هولندا مدة عشرين سنة، وكان من دوافع حبه للحياة في هذه البلاد ما تتميز به من هدوء مما أتاح له مزيدا من تنظيم أفكاره وكتاباته.[4]

(1) مهدي فضل الله، مرجع سابق، ص ص 17-18.

(2) يوسف كرم، مرجع سابق، ص 59.

(3) رواية عبد المنعم، مرجع سابق، ص ص 46-47.

(4) إبراهيم مصطفى، مرجع سابق، ص 81.

وفي سنة 1649م دعته " كريستينيا" ملكة السويد غلى بلاطها الملكي لكي يعلمها الفلسفة ولقد كان مناخها القاسي والوقت التي اختارته الملكة الساعة الخامسة لدروسها مع الفيلسوف فلم تتحمل صحته البارد القارص، فاصيب في صدره بالتهاب رئوي مات على إثره يوم 19 فيفري 1650م عن عمر يناهز ثلاث وخمسون سنة.[1]

2. مؤلفاته

ترك لنا ديكارت مؤلفات كثيرة أهمها:

1-**قواعد لهداية العقل** (Régle pour la direction de l'esprit) وصدر عام 1928م وهي رسالة في المنطق الجديد المعارض لمنطق أرسطو[2].

2- العالم (le monde) حيث فرغ منه سنة 1933م ولكنه لم يخرجه في ذلك التاريخ، وذلك بسبب محاكمة رجال التفتيش في أوروبا **(لجاليليو)** عام 1932م وإدانته والذي قال فيه بأن الأرض تتحرك حول الشمس، فيعلم ديكارت بهذا القرار لم ينشر هذا الكتاب إلا بعد وفاته[3].

3- مقال عن المنهج (Discours de la méthode) وقد كتبه ديكارت بالفرنسية بعكس الكتب الأخرى الذي كتبها باللاتينية، وذلك ابتغاء نشر المنهج في أوساط الناس، حتى قال عنه في رسالة إلى أحد اليسوعيين:" **إنه من السهولة بحيث يفهمه الجميع حتى النساء**". حيث لم ينشر للمرة الأولى ككتاب مستقل، بل يعتبر كمقدمة لثلاث كتب نشرت معه سنة 1673م وهي:

أ-البصريات (Optiques) أو إنكسار الضوء (Dioptrique) وفيه يبحث عن مشاكل انكسار الضوء.

ب- الشهب.

---

(1) إبراهيم مصطفى، مرجع سابق، ص 71.

(2) رواية عبد المنعم، مرجع سابق، ص 63.

(3) إبراهيم مصطفى، مرجع سابق، ص 72.

ج- الهندسة وفيها وضع أسس ما يسمى " **أسس الهندسة التحليلية**"[1].

4- تأملات في الفلسفة الأولى (Méditations) صدر سنة 1641م وفيه يبرهن ديكارت على وجود الله وتميز الروح عن الجسد وخلود النفس، وهي عبارة عن ستة تأملات.

التأمل الأول: في الأشياء المشكوك فيها.

التأمل الثاني: في طبيعة النفس الإنسانية وسهولة معرفتها.

التأمل الثالث: في حقيقة الإله وإثبات وجوده.

التأمل الرابع: في التمييز بين الخطأ والصواب.

التأمل الخامس: في بيان ماهية الأشياء المادية ووجود الإله حقيقته.

التأمل السادس: في وجود الأشياء المادية والتمييز بين النفس والحسد[2].

5- مبادئ الفلسفة (Principes de la philosophie) صدر سنة 1644م وقد كتبه باللاتينية ثم ترجم إلى الفرنسية وتم نشره بعد ذلك سنة 1647م، وفيه يعرض ديكارت لمجمل فلسفته عرضا شاملا أو موقفه من المسائل الفلسفية وتبيان أوجه الإختلاف بين فلسفته والفلسفة القديمة.[3]

6- رسالة في إنفعالات النفس (Traité des passions de l'ame) وقد تم نشرها عام 1649م فهي رسالة تتميز بالطابع الأخلاقي والديني حيث يبحث الفيلسوف عن طريقة علمية للسيطرة على الأهواء والشهوات من أجل الوصول إلى حياة سعيدة فاضلة[4].

7- البحث عن الحقيقة بواسطة النور الطبيعي (la récherche de la vérité par la lumiére naturelle) وقد نشر بعد وفاته سنة 1701م[5].

---

(1) عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1984، الجزء الأول، ص 490.

(2) مهدي فضل الله، مرجع سابق، ص 83.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) رواية عبد النعيم، مرجع سابقن ص 66.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

في حاجة ماسة إليه،[1] وأدرك الإنسان أن بداخله طاقات كاملة كافية لتحقيق سعادته، وأخذ يبحث عن الوسائل المختلفة للتعبير عن ذاته وحريته ملغيا كل القوى المفارقة.

وبفضل التقدم في العلوم الفلكية، والرياضية، ظهر جهاز مفاهيمي جديد تضمن مفهوم النسبية" وإنهاء مقولة المطلق التي عمرت طويلا، وهذا ما دفع الفلاسفة إلى إقحام الرياضيات في مجالات التفكير العلمية والفلسفية وعلى رأسهم دفيد هيوم David Hume (1711–1776) الذي يرى أن دقة الرياضيات ومعقوليتها ودرجة التجريد العالية التي تميزها عن باقي العلوم ستمكننا من معرفة قوانين التفكير باعتبار العقل البشري المسؤول عن عملية المعرفة التي تتأتى بالعقل والتجربة والتي همشها الكثير من الفلاسفة، وهذا الطرح الذي جدده الفيلسوف الفرنسي " رينيه ديكارت" Déscartes (1596م–1650م) وتلاميذه أمثال سبينوزا وماليرانش Malebranche (1638–1715م) هؤلاء الذين نظروا إلى مسألة الدين في معالجتها إلى درجة الإتحاد.

فالفيلسوف ديكارت الذي كان بوابة للفلسفة الحديثة، ومثل أيضا محطة مهمة في تاريخ نظرة الإنسان إلى نفسه مقيما قطيعة مع كل التصورات التقليدية القديمة فهو انتقل من مرحلة الإنسان الضعيف الذي يستمد وجوده من قوة خارجة عنه، إلى ذات مفكرة حرة تبني وجودها بنفسها[2]، لأن الوجود قبله كان محددا بانتماء هذا الإنسان إلى المكان او الجماعة أو الدين، وأصبح ذاتا مستقلة تحقق وجودها دون أي تدخل خارجي عنها، ومنه انتقل الإنسان من طور الفعل بغيره إلى طور الفعل نفسه من خلال ممارسة التفكير الحر، والفكر الديكارتي تجاوز كل المفاهيم السابقة للإنسان مفهوما جديدا مكنا على أساس آخر هو التفكير بصيغته المشهورة أنا أفكر إذن أنا موجود"، فالكوجيتو الديكارتي إنتصر للعقل

---

(1) ساعدت الإكتشافات العلمية على قيام الثورة صناعية وعسكرية وبحرية كان مهدها بريطانيا، ثم انتقلت هذه الثورة العلمية والتقنية إلى فرنسا ومكنتها من أن تصبح منافسة لبريطانيا، وقائدة للعالم.

(2) عبد الله الكوس، الحداثة جدل الكونية والخصوصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014، ص 106.

عن طريق الشك هدم ما كان مسلما به، واطلع على العالم الخارجي، وكشف العلاقة بين الذات والعالم الخارجي بعيدا عن حالة الإغتراب التي فرضتها الكنيسة أو الدين على الإنسان (نظرية الحق الالهي)، وأعاد إلى الإنسان مكانته وثقته بنفسه وأسس منهجا خلصه من تبعيته وكل انتماءاته ليعرفه على ذاته المستقلة التي منها يستمد وجوده أي إلى ذات مفكرة قادرة على بناء معارفها عن طريق العقل الذي يوجه إلى معرفة ما حولنا أي العالم الخارجي بعيدا عن تلقي الأوامر من الخارج، ولذلك أصبح الإنسان الحديث هو ذلك الذي غادر شرنقة العصور التي ظل سجينها أمادا طويلة، ورفعت عنه الوصاية والحماية ولم يعد للدين أو أي شيء آخر سلطة عليه، وله يعود الفضل في إرساء منهج بديل ينطلق من الأفكار الفلسفية الموجودة في الذهن البشري بعيدا عن الإعتقاد السائد، وحرر العقل من القيود السائدة أنذاك، فتجار الفلسفة المدرسية والمنطق الأرسطي وبعض محاورات أفلاطون (ما سمحت الكنيسة بالإطلاع عليه)، وإدخال الكثير من المفاهيم الرياضية مجال التفلسف، وممارسة الشك المنهجي بخطواته (البداهة والوضوح، التحليل، التركيب المراجعة والإحصاء)، ووضع مؤلفه التاريخي مقال في المنهج (Discours sur la méthode) وبه استطاع أن يغير مسار الحضارة الغربية التي سارت عليه قرون طويلة وبدأ بكسر القيود التي كانت الكنيسة تفرضها على المجتمع، وفتح آفاقا شاسعة للعلم والمعرفة والفهم، واضمحلت النظرة التقليدية للأشياء، نظرة كانت تفسر كل شيء باعتماد علاقة عمودية بين الإنسان والله، وحلت محلها علاقة أفقية جعلت كل شيء موضوعا للمعرفة والتساؤل والنقد والتمحيص دون قيد أو شرط وأصبح العلم قادرا على إثبات القضايا الميتافيزيقية التي كانت مناطق محرمة يسلم بها الإنسان دون بحث وتمحيص.

وتطورت الأفكار الديكارتية وتخطت حدود الزمان والمكان لتنتشر بسرعة سواءا داخل فرنسا أو خارجها، على يد العديد من الفلاسفة الذين تأثروا بالعلم الرياضي وأسقطوه على التفكير [1].

---

[1] عبد الله الكوس، الحداثة جدل الكونية والخصوصية، مرجع سابق، ص 107.

وهنا يمكن القول :

انه بفضل التقدم في العلوم الفلكية، والرياضية، ظهر جهاز مفاهيمي جديد تضمن مفهوم "النسبية" وانهاء مقولة المطلق التي عمرت طويلا، وهذا دفع الفلاسفة إلى إقحام الرياضيات في مجالات التفكير العلمية والفلسفية وعلى رأسهم دفيد هيوم "David Hume" (1711-1776م) الذي يرى أن دقة الرياضيات ومعقوليتها ودرجة التجريد العالية التي تميزها عن باقي العلوم ستمكننا من معرفة قوانين التفكير باعتبار العقل البشري المسؤول عن عملية المعرفة التي تتأتى بالعقل والتجربة والتي همشها الكثير من الفلاسفة، وهذا الطرح الذي جدده الفيلسوف الفرنسي "رنيه ديكارت Descartes" (1596-1650م) وتلاميذه أمثال "سبينوزا" "ومالبرانش" Malebranche (1638-1715م) هؤلاء الذين نظروا إلى مسألة الدين في معالجتها إلى درجة الالحاد.

فالفيلسوف ديكارت الذي كان بوابة للفلسفة الحديثة، ومثل أيضا محطة مهمة في تاريخ نظرة الانسان إلى نفسه مقيما قطيعة مع كل التصورات التقليدية القديمة فهو انتقل من مرحلة الانسان الضعيف الذي يستمد وجوده من قوة خارجة عنه، إلى ذات مفكرة حرة تبني وجودها بنفسها[1] لأن الوجود قبله كان محددا بانتماء هذا الانسان الى المكان أو الجماعة أو الدين وأصبح ذاتاً مستقلة تحقق وجودها دون أي تدخل خارجي عنها، ومنه انتقل الانسان من طور الفعل بغيره إلى طور الفعل بنفسه من خلال ممارسة التفكير الحر، والفكر الديكارتي تجاوز كل المفاهيم السابقة ليؤسس للإنسان مفهوما جديدا متكئا على أساس آخر هو التفكير بصيغته المشهورة "أنا أفكر إذن أنا موجود"، فالكوجيتو الديكارتي انتصر للعقل وعن طريق الشك هدم كل ما كان مسلما به، واطلع على العالم الخارجي، وكشف العلاقة بين الذات والعالم الخارجي بعيدا عن حالة الاغتراب التي فرضتها الكنيسة أوالدين على الانسان (نظرية الحق الالهي)، وأعاد إلى الانسان مكانته وثقته بنفسه وأسس منهجا خلصه من تبعيته وكل

---

(1) عبد الله ادا الكوس- حمادي بن جاب الله: الحداثة جدل الكونية والخصوصية، المركز الثقافي االعربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014، ص 106.

إنتماءاته ليعرفه على ذاته المستقلة التي منها يستمد وجوده أي إلى ذات مفكرة قادرة على بناء معارفها عن طريق العقل الذي يتوجه إلى معرفة ما حولنا أي العالم الخارجي بعيدا عن تلقي الأوامر من الخارج، ولذلك "أصبح الانسان الحديث هو ذلك الذي غادر شرنقة العصور التي ظل سجينها أمادا طويلة"[(1)] ورفعت عنه الوصاية والحماية ولم يعد للدين أوأي شيء آخر سلطة عليه، وله يعود الفضل في إرساء منهج بديل ينطلق من الأفكار المسبقة الموجودة في الذهن البشري بعيدا عن الاعتقاد السائد، وحرر العقل من القيود السائدة آنذاك فتجار الفلسفة المدرسية والمنطق الأرسطي وبعض محاورات أفلاطون (ما سمحت الكنيسة بالاطلاع عليه)، وادخال الكثير من المفاهيم الرياضية مجال التفلسف، وممارسة الشك المنهجي بخطواته (البداهة والوضوح، التحليل، التركيب المراجعة والاحصاء)، ووضع مؤلفه التاريخي مقال في المنهج (Discours sur la méthode)، وبه استطاع أن يغير مسار الحضارة الغربية التي سارت عليه قرون طويلة وبدأ بكسر القيود التي كانت الكنيسة تفرضها على المجتمع، وفتح أفاقا شاسعة للعلم والمعرفة والفهم، واضمحلت النظرة التقليدية للأشياء نظرة كانت تفسر كل شيء باعتماد علاقة عمودية بين الانسان والله، وحلت محلها علاقة أفقية جعلت كل شيء موضوعا للمعرفة والتساؤل والنقد والتمحيص دون قيد أو شرط وأصبح العلم قادرا على اثبات القضايا الميتافيزيقية التي كانت مناطق محرمة يسلم بها الانسان دون بحث وتمحيص.

وتطورت الأفكار الديكارتية وتخطت حدود الزمان والمكان لتنتشر بسرعة سواءا داخل فرنسا أوخارجها، على يد العديد من الفلاسفة الذين تأثروا بالعلم الرياضي.

---

(1) المرجع نفسه: ص 107.

الفصل الثاني
العقل والمنهج

المبحث الأول: ضبط مفاهيم

قبل أن تقوم بمحاولة لضبط مفهوم العقلانية لابد أولا من أم نضبط مفهوم العقل، والعاقل ثم العقلانية، والمذهب العقلي ككل.

1-مفهوم العقل

يرى أحمد الفراهيدي أن العقل: نقيض الجهل، عقل يعقل عقلا فهو عاقل، والمعقول: ما تعقله في فؤادك، ويقال: هو ما يفهم من العقل، وهو والعقل واحد، كما نقول: عدمت معقولا أي ما يفهم منك من ذهن أو عقل.[1]

أما " جميل صليبا" فيرى:

العقل في اللغة الفرنسية: Raison, intelligence, intellect

في اللغة الأنجليزية Raison, intelligence, intellec

في اللغة اللاتينية Ration, intelligentia

فالعقل في اللغة: هو الحجر والنهي، وقد سمي بذلك تشبيها بعقل الناقة، لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة من الشرود[2].

أما الفلاسفة فإنهم يطلقون العقل على المعاني التالية:[3]

1-أول هذه المعاني قولهم: إن العقل " **جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها**" فهذا الجوهر ليس مركبا وإنما هو مجرد عن المادة.

2- ثاني هذه المعاني: قولهم إن العقل قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني، وتأليف القضايا والأقيسة، فالعقل قوة تجريد تنزع الصورة من المادة وتدرك المعاني الكلية كالجوهر، العرض، والعلة والمعلول، والغاية....

---

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2003، الجزء الثالث، ص 203.

(2) جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والأنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، سنة 1982، الجزء الثاني، ص 84.

(3) المرجع نفسه، ص ص 84-85.

من جهة اشتماله على المبادئ القبلية للمدركات العلمية العلمية كان عقلا نظريا، وإذا نظرت إليه من جهة اشتماله على المبادئ القبلية لقواعد الأخلاق كان عقلا عمليا.

فالعقل عند "كانت" يطلق على الملكة الفكرية العالية التي تولد فينا بعض المعاني المجردة كمعنى النفس، ومعنى العالم، فبهذا المعنى ليس مقابلا للتجربة، وإنما مقابل للذهن والفهم.[1]

ب- مفهوم العقلي:

يحدد " إبراهيم مدكور" مفهوم العقلي في كتابه المعجم الفلسفي بأنه: مال ينتمي إلى العقل أو ما يتفق معه، كالمعرفة العقلية.[2]

ج- مفهوم العاقل (Raisonnable)

يرى " جميل صليبا" بأن العاقل هو الناطق أي المنتصف بالعقل، وكل من قال أن الإنسان عاقل عني بذلك أن عقله يميزه عن الحواس.

والعاقل أيضا هو الذي يفكر تفكيرا صحيحا، ويحكم على الأشياء حكما صادقا، ويعمل عملا صالحا فلا يسمى عاقلا حتى يكون خيرا، بخلاف الجاهل الذي يستعمل فكره فعل الشر، بل يسمى داهيا أو ماكرا.

والعاقل أيضا هو الذي يعرف كيف يكبح جماح نفسه، ويعرض عن كل ما يجاوز نطاق قدرته، ويوقعه في المهلك، ولذلك قيل: دولة الجاهل من الممكنات ودولة العاقل من الواجبات[3].

د- مفهوم العقلانية (Raitonalisme)

يرى جميل صليبا أن مصطلح العقلانية يعني القول بأولية العقل، وتطلق على عدة معان:[4]

---

(1) جميل صليبا، مرجع سابق، ص 89.

(2) إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د ط، سنة 1983، ص 121.

(3) جميل صليبا، مرجع سابق، ص 90.

(4) المرجع نفسه، ص ص 90-91.

الأول: هو القول أن كل موجود فله علة في وجوده بحيث لا يحدث في العالم شيء إلا وله مرجع معقول.

الثاني: هو القول أن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية، لا عن التجارب الحسية، لأن هذه التجارب لا تفيد علما كليا.

الثالث: هو القول أن وجود العقل شرط في إمكان التجربة، فلا تكون التجربة ممكنة إلا إذا كان هناك مبادئ عقلية تنظم معطيات الحس.

الرابع: هو الإيمان بالعقل وقدرته على إدراك الحقيقة وسبب ذلك في نظر العقلانيين، أن قوانين العقل **مطابقة لقوانين الأشياء الخارجية، وإن كل موجود معقول، وكل معقول موجود.**

د- المذهب العقلي (doctrine mentale)

يرى جميل صليبا أن المراد بالمذهب العقلي، أن كل ما هو موجود فهو مزود إلى مبادئ عقلية، وهو مذهب (ديكارت، واسبينوزا، وليبتنز، وهيجل).

أما " أندريه لالاند" فيرى أن المذهب العقلي له عدة معاني:[1]

أولا: بالمعنى الميتافيزيقي، مذهب يقول بعدم وجود أي شيء بلا موجب بحيث أنه لا يوجد شيء لا يكون معقولا، قانون إن لم يكن واقعا.

ثانيا: مذهب يرى أن كل معرفة يقينية تصدر عن مبادئ لا تقبل الدحض.

ثالثا: مذهب يرى أن الإختيار غير ممكن إلا لفكر يملك عقلا بالمعنى، أس منظومة أسس كلية ومبادئ ضرورية تنظم المعطيات التجريبية.

رابعا: عند اللاهوتيين: مذهب يرى أنه لا يجوز الوثوق بالعقل ولا يجوز التسليم في المذاهب الدينية إلا بما يعترف به العقل بأنه منطقي وكاف وفقا للنور الطبيعي.

---

(1) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، باريس، الطبعة الثانية، سنة 2001، ص 1172.

أ-**العقل:** في اللغة هوالحجر والنهي، وقد سبب بذلك تشبيها بعقل الناقة، لأنه تمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما تمنع العقال الناقة من الشرود.

والجمهور يطلق عليه على العقل ثلاثة أوجه

الأول: يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته، ويكون حده أنه هيئة حسودة للإنسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته.

الثاني: يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده أنه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض والمصالح.

الثالث: ويراد به الخطوة الأولى في الإنسان فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها.

أما الفلاسفة فإنهم يطلقون العقل على المعاني التالية:[1]

1-**الكندي:** العقل جوهر بسيط مدرك الأشياء بحقائقها".

2- **الفارابي:** هوجوهر بسيط مقارن للمادة يبقى بعد موت البدن وهوجوهر أحدي، وهوالإنسان على الحقيقة".

3- **العمري:** أكذب النفس لا إما أسوي بالعقل".

4- **سينيوري:** من طبيعة العقل أن ينظر إلى الأشياء على أنها ضرورية لا على أنها جائزة".

5- **باسكال:** يوجد تجاوزات إثنان " قصة العقل، وعدم التسليم إلا بالعقل".

6- **شانفور:** لوأردنا أن نغفر العقل ما ألحقه من أضرار بمعظم الأمين فلا تتصور الإنسان بدون عقل إنما العقل شر لابد منه".

7- **لوثر:** إنما العقل عامر الشيطان.

8- **جان رستان:** أحب أن تختنق بالعقل، وألا نفرط فيه".

---

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 89.

9- **سانت إترمون:** ميزتنا الأولى أننا ولدنا عقلا وحسدنا الأولى أننا نرى غيرنا يريد أن يكون أكثر منا تعقلا[1]".

10- **مارسيل:** على الإنسان العاقل هوأولا وبالذات ذلك الذي يدرك معدود عقله".

-أن العقل يطلق أيضا على قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني وتأليف القضايا والأقيسة، والعقل هوقوة تجريد تنتزع الصورة من المادة وتدرك المعاني الكلية كالجوهر والعرف والقلة والمدلول والغاية والوسيلة، والخير والشر...إلخ، وهوكذلك مجموع المبادئ القبلية المنظمة المعرفة كمبدأ عدم التناقض، مبدأ السببية وهي مبادئ لا تستقيم بدونها المعرفة فقط.

- ويطلق العقل عموما على مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة كالإدراك، والتداعي، والذاكرة، والتخيل، والحكم والإستدلال..إلخ.

- ومن المعاني الواسعة للعقل هوأن له القدرة على إستيعاب المعقولات وتحصيل المعرفة العلمية، في مقابل المعرفة الدينية المستندة إلى الوحي والإيمان.

- أن كل موجود معقول ولكل معقولا موجود ومن جهة أخرى يعتبر المذهب العقلي أن كل ما هوموجود مردود إلى مبادئ عقلية، وهويذهب ديكارت وسبينوزا ولابتيز وفوف وهيجل اللذين يرجعون الحكم بوجه عام إلى الذهن، لا إلى الإرادة (وهوبهذا المعنى مقابل للمذهب الإرادي الذي يجعل تأثير الإرادة في الحياة النفسية أعظم من تأثير العقل).

ب/ المنهج: هو الطريق الواضح، والسلوك البين، والميل المستقيم.

وهو السلوك النظري والعملي الذي ينبغي أن تتوخاه من أجل بلوغ غاية محددة، وعندما تتحدث فن المنهج الخاص بعلم من العلوم، فإن ما تعنيه هو إما الطريقة المتوخاة في هذا العلم والتي مكن استجلاؤها بالنظر فيه ودراسته، أو جملة المبادئ العامة المحددة

---

[1] جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص (291،292، 293،294).

لخصوصية البراهين والإستدلالات والتجارب المستعملة في هذا العلم، أوأيضا الطرق والسبل التي يمكن توخيها إذا ما أردنا الحصول على معلومات إضافية في هذا العلم.

ولقد كان لفظ المنهج يشير في القديم، ولاسيما عند أفلاطون إلى البحث وإلى الطريق المتبعة في أثناء المعرفة، وكان أفلاطون يستعمل هذا اللفظ كمرادف للفظ "المذهب" ثم ربط الرواقيون مفهوم المنهج بمفهوم "تكني" كما ربطه فلاسفة القرون الوسطى بمفهوم "آرس" جاعلين من المنهج جملة الطرق الصالحة في مجال ما للحصول على عناصر وأشياء جديدة، وشيئا فشيئا أصبح هذا اللفظ يستخدم عندما يقع تأمل البنية الصورية للعلوم، ولاسيما بنية علم الهندسة حيث يرتبط مفهوم المنهج بمفهوم النظام والإستدلال الضامن لصحة المنهج العلمي[1].

1-**ديكارت:**" أعني بالمنهج جملة من القواعد الثابتة والسهلة، تسمح لكل الذين يعملون على احترامها بأن يسيئوا تقدير الخطأ والصواب فيصلون بدون جهد وعناء، ولكن بتطوير معارفهم تدريجيا إلى المعرفة الصحيحة كما يمكنهم بلوغه".

2- " ينحصر المنهج كله في تنظيم الأموراتي ينبغي أن نوجه نحوها بصرنا العقلي لاكتشاف حقائق ما".

*__فاليري__: البحث عن المنهج هو البحث عن نظام من الإجراءات الخارجية يكون قادرا على تحقيق عمل الفكر أحسن من الفكر نفسه.

*__كورتو__: في الواقع لا يوجد منهج للإختراع ولا يجب أن ننظر إلى الشخص الذي لا يقوم إلا بتطبيق منهج معين على أنه مخترع.

* **ألان:** لا يوجد سوى منهج واحد للإبداع إنه التقليد والمحاكاة ولا يوجد سوى منهج واحد للتفكير السوي بأنه مواصلة فكرة قديمة سبق أن اختبرناها.

* **باشلار:** المنهج هو نقيض العادة، ويتمثل الخطأ المعرفي المذهب الصوري في السعي إلى جهل المنهج منهجا آليا، إن المطلوب من الوعي المنهجي هواه يبقى يقظا.

---

(1) جلال الدين سعيد، مرجع سابق، ص (290-291).

* **مارسيل غيرو**: " تحمل لكل فلسفة جهرا أوهما خطابا في المنهج".[1]

المبحث الثاني: من المنهج الى الفلسفة

إن المنهج الديكارتي الذي أنشئ بالإستناد إلى الرياضيات قد أعطى ثماره، فالهندسة التحليلية التي تعالج الخطوط معالجة جبرية تنتقلنا من بناء الخطوط إلى المعدلات العقلية حيث يقول:" **فجميع النقاط الهندسية، أعني تلك التي يمكن أن تقع تحت القياس الدقيق، لها علاقة ما بالخط المستقيم ويمكن التعبير عن تلك العلاقة بمعادلة ما هي ذاتها لجميع النقاط**"[2].حيث نجد " **ديكارت**" يؤكد على أهمية الرياضيات في كتابه المقال يقول:" **كانت تعجبني الرياضيات على الخصوص، وذلك لما في براهيتها من الوثاقة والوضوح...**"[3] .

فالرياضيات ليست تسلية ذهنية بل هي نموذج كل معرفة، فهذا التوحيد للمعرفة هو جوهر الحدس، فوحدة المعرفة هي أولا وحدة منهجية إنها " **الرياضيات العامة**" التي تشمل كل ماله علاقة " **بالترتيب والقياس**"[4].

لقد ذكر الأستاذ " **بيكمان**" بعد لقائه بديكارت وتشجيعه إياه في أبحاثه الأولى: " إن العلماء بالرياضيات والطبيعيات معا قلائل جدا" كما أكد " **جاليلي**" في الفترة نفسها على أن " **قوانين الطبيعة مكتوبة باللغة الرياضية**".

مما يسمح لنا بأن نعبر تعبيرا رياضيا عن القوانين التي نكتشفها بالإختبار الحسي، فمنهجية ديكارت تستدعي الفلسفة كمتمم لها، فبعرضه للقواعد الأربع ذكر " **ديكارت**" " **بتلك السلسلة الطويلة من الإستدلالات العقلية**" عند علماء الهندسة، ويمكننا التحقق من حسن الترتيب الذي نفترضه في المعادلات من توافق النسب الموجودة بين حدودها.[5]

---

[1] جلال الدين سعيد، مرجع سابق، ص (450-452).

[2] جونيفياف روديس، ديكارت والعقلانية، تر عبدو الحلو، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط04، 1988، ص 25.

[3] ديكارت، عن المنهج، مصدر سابق، ص 115.

[4] جنفياف روديس، مرجع سابق، ص ص 26-27.

[5] المرجع نفسه، ص ص 27-28.

نجد ديكارت في كتابه المبادئ يجري مقارنة بين استكشاف أسرار الطبيعة وحل المشاكل بواسطة الرموز الذي هو نوع من التمرس الفطن.

فما يميز ديكارت عن سائر علماء عصره، هو أن يصل إلى يقين يتجاوز مجرد الإحتمال، وهو يقين نصل إليه، وعندما نضع ان الشيء لا يمكن أن يكون على خلاف ما نتصوره.

فالعمل وفق المنهج يعيدنا إلى الفلسفة التي تتعلق المبادئ بها، لأن الإحتمال هو غير الإثبات والبحث عن اليقين التام يورط ديكارت في مغامرة عقلية إستثنائية.[1]

المبحث الثالث: الحدس والإستدلال

أ/ الحدس:

الحدس عند ديكارت هو الرؤية العقلية المباشرة التي يدرك بها الذهن بلا وساطة بعض الحقائق، فتقبلها النفس وتثق في صحتها وصدقها، أوهونظرة ثابتة من نظرات العقل، بلغت من الوضوح والتميز مبلغا يزول معه كل شيء، فمثلا إذا ركز عقلنا إنتباهه في تحليل فكرة المثلث، فإنه يدرك مباشرة أن للمثلث ثلاث زوايا وثلاثة أضلاع، وأنه شكل مقفل..إلخ.

-وهذه الحقائق المباشرة هي أفكار بسيطة وواضحة، تقابلنا كثيرا في مجال دراستنا، فهي تقدم لنا النقاط الأولى التي تبدأ منها، أوهي " المبدأ المطلق في الموضوع"[2].

- وللفكرة الحدسية خاصتين أوميزتين أساسيتين هما: الوضوح والتمايز.

- الفكرة الحدسية يجب أن تكون واضحة بمعنى أن تكون الفكرة في الذهن ونحن مستعدون لقبولها أو التسليم بها، وذلك لما نرى فيها كالبداهة لا يتطرق إليها الشك ولا يطلب البرهان عليها، وعكسها الفكرة غير الواضحة المشوشة وهي الفكرة الغامضة التي لا يفهمها الذهن ويحتاج لفهمها أن نستعين بشيء آخر.

---

[1] جونيفياف روديس، ديكارت والعقلانية ، مرجع سابق، ص ص 28-29.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، مرجع سابق، ص (78-79)

– أما التميز فيقصد به ديكارت أن لا تكون الفكرة ملتبسة مع فكرة أخرى، ويسهل فهم فهو ديكارت في الأمثلة التالية: **الوعي الوجودي، حين أفكر، أوأنقل، أوأتمنى، أوأرعى، أوأشك، أو أعتقد.**

–الوعي بهذا الوجود لا يعطيني الفرصة للشك أوإنكار وجودي، إذن وأنا أقوم بهذه العمليات العقلية على أساس مبدأ الحدس.

– وهناك حدس حسي، وهو الإدراك الحسي المباشر للأشياء الخارجية كما هي معروفة لدى إيمانويل كانط" الحدوس الحسي".

– وهناك الحدس العقلي والذي يتخذه أساسا للبرهنة والإستدلال فيه ندرك حقائق التجربة كما ندرك الحقائق العقلية، وبه نكشف عن أمور سبيل إلى الكشف عنها إلا به، وهوما يشبه الرؤية المباشرة والإلهام[1].

ب/ الوضوح واليقين:

يعلن ديكارت في مستهل مقالته في المنهج، شول الفطرة السليمة، أي العقل، جميع البشر، ليتوسل من ذلك إلا سلامة إستعماله إذ أنه لا يكفي أن يكون العقل سليما، بل الأهم من ذلك هوأن نستعمله إستعمالا جيدا، فإن القدرة على الحلم العقلي الصالح، وتمييز الخطأ من الصواب، يجب أن تنظم بالمنهج، على غرار القواعد الرياضية الأكثر دقة، بعدما أحبها منذ عهد الدراسة، وبعدما يئس من المشاحنات الكولاستيكية المليئة بالشك والقائمة على الظنون، ومثله في ذلك مثل الحداد الذي يستعمل أي شيء اتفق من حجارة وغيرها، ليصنع آلاته الأولى، لأن الحجة العقلية إذا كانت يقينية جلية أمكن أن نعرضها على الآخرين[2].

وفي بداية مقالته في المنهج، شمول العقل جميع البشر حيث يقول:"

---

(1) حاجب المعطي، تيارات فلسفية حديثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1974، ص 30.

(2) جوني فياف روديس، ديكارت والعقلانية ، مرجع سابق، ص 17.

" العقل هو أحسن الأشياء تورقا بين الناس"[1].

ليتوصل بعد ذلك إلى سلامة استعماله " لأنه لا يكفي أن يكون للمرء عقل، بل المهم هوأن يحسن استخدامه"[2].

فسلامة العقل والقدرة على الحكم والتمييز بين الصواب والخطأ لابد أن يحكمها منهج حيث عبر ديكارت عن المنهج بقوله :" **جملة قواعد مؤكدة تعصم مراعاتها ذهن الباحث من الوقوع في الخطأ وتمكنه من بلوغ اليقين في جميع ما يستطيع معرفته دون أن يستفذ قراه في جهود ضائعة**"[3] كما تفتن القاعدة الرابعة من كتاب قواعد لتوجيه العقل على أن المنهج عبارة عن " **القواعد اليقينية التي تتضمن لمن يراعيها بدقة ألا يفترض الصدق فيما هوكاذب، وأن يصل إلى علم صحيح بكل ما يمكن العلم به، وذلك بفضل ازدياد مطرد في ذلك العلم ودون القيام بمجهودات لا جدوى منها**"[4].

وقد كتب ديكارت في المقال في لمنهج أن المنهج عبارة عن القواعد التي تعين الإنسان:[5]

أ-على زيادة معرفتي بالتدريج هو أن

فمعيار الحقيقة عند ديكارت هو الوضوح والتميز، وقد بين ذلك في القاعدة الأولى من المنهج بقوله: ألا اقبل شيء ما على أنه حق، ما لم أعرف يقينا أنه كذلك، بمعنى أن تجنب بعناية التهور في السبق إلى الحكم قبل النظر، وألا أدخل في أمامي إلا ما يتمثل أمام عقلي في جلاء وتميز، بحيث لا يكون لدى أي مجال لوضعه موضع ...".[6]

(1) رينيه ديكارت مقال عن المنهج، تر محمود محمد الخضري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1968، ص 92.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) رواية عبد المنعم، مرجع سابق، ص 77.

(4) إميل برهيه، تاريخ الفلسفة ترجمة جورج طرابلسي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ج4، ص 78.

(5) جونفياف رويس، ديكارت والعقلانية، ترجمة عبده الحلو، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط4، 1988، ص 21.

(6) ديكارت، مقال عن المنهج، مصدر سابق، ص 93.

يتبين من هذا الكلام أن الوضوح الكلي هونوع من الأمر الواقع المميز بعدم إمكانية الشك" **والمعرفة التي نستطيع أن نبني عليها حكما يقينيا يجب ألا تكون واضحة فحسب بل في غاية الجلاء**[1]".

ففي كتاب " قواعد لهداية العقل" يوضح معنى صفة اللأشياء الواضحة والمتميزة فيقول:" **إذا كانت من البساطة بحيث لا يستطيع العقل أن يقسمها إلى أشياء أقل بساطة مثل: الشكل، والإمتداد، الحركة.... ونحن نتصور سائر الأشياء كأنها مركبات من هذه**"[2].

هذه الأشياء ندركها بالعقل الراعي المنتبه الذي لا يقبل لديه شك فيدركه نظرا لوضوحه وتميزه عن غيره.

نفترض هذه القاعدة الأولى قابلين خاصة لأن درجة الجلاء والوضوح مرهونة بحضوره الذهني[3].

---

(1) جنفياف روديس، مرجع سابق، ص 19.

(2) عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة المربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة 1984، ج1، ص 493,.

(3) جنياف روديس، مرجع سابق، ص 80.

الفصل الثالث:

العقل والمنهج عند ديكارت

مقدمة

دارت أحداث هذا الفصل حول العقل والمنهج عند ديكارت وكيف كانت نظريته للعقل والمنهج، حيث أنه أتى بمنهج خاص به وهو الشك حيث تحدثنا عن الشك عند ديكارت وعند اليونان وعند أبي حامد الغزالي والكوجيتو الديكارتي، وبعض الإستداءات لفلسفة ديكارت والإنتقادات الموجهة له.

المبحث الأول: الشك والتفكير عند ديكارت

المطلب الأول: جذور الشك عند ديكارت

يعد ديكارت عموما وبحق الشخصية المحورية في الإنتقال من الفلسفة الكلاسيكية إلى الفلسفة الحديثة، وهذا ليس ناتجا عن التعاليم التي قدمها إذ جدى الآن الإرتياب في الكثير جدا منها بقدر ما يتحرره للبحث الفلسفي.

كان ديكارت يبتكر وحده صورة مدهشة ومغرية إلى درجة كبيرة للمنهج الذي على الفيلسوف ان يتبعه بحثا عن الحقيقة.[1]

" قبل بضع سنوات صدمني عدد كبير من الأكاذيب التي كنت أقر في طفولتي أنها حقيقية، وصدمتني الطبيعة المشكوك فيها بشدة لكامل الصرح الذي كنت قد أقمته بعدئذ عليها، وأدركت أنه كان ضروريا، مدة في أثناء حياتي إن أدمر كل شيئ تدميرا كاملا وإن أبدأ فورا من جديد من الأسس إذا أردت أن أبرهن على أي شيء في العلوم مهما كان نوعه بحيث ثابتا ومن المحتمل أن يبقى.

-وشك ديكارت ليخل في ثلاث موجات:

أولا: شهادة الحواس مرفوضة: وجدت من حين إلى الآخر إن الحواس تخدعني وإنه لتعقل ألا نثق تماما بمن خدعونا ولومرة واحدة" ثم أن الأحكام بشأن التجارب الحاضرة مرفوضة، فالإعتقاد أنني أجلس بجانب النار أمسك بهذه القطعة من الورق".

---

(1) جون كوتنفهام، العقلانية، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، الناشر مركز الإفاد الحضاري، حلب، ط1، 1997، ص (47-48).

إستبعد ديكارت شهادة الحواس لأنها تخدعنا أحيانا ومن الفطنة أن لا نأمن لمن خدعنا مرة ثم أقر كالغزال بأننا نعتقد في النوم أمورا تتخيل أحوالا ونحسب لما ثباتا واستقرارا[1].

ثم استبعد ديكارت شهادة العقل نفسه، لأن بعض الناس قد يخطئون في الإستدلال ولوفي أبسط قضايا الهندسة وافترض أن هناك " شيطان ماكر" مخادع يعبث بعقلي، فيرني الباطل حق والحق باطلا يحدثني بحيث أخطئ على الرغم مما قد يكون لدي من يقين نفسي.

وهكذا استبعد ديكارت شهادة الحواس، بل شهادة العقل نفسه وبالجملة رأى أن " من واجبي أن أشك في وجود العالم الخارجي، وفي الحقيقة الأشياء المحيطة مني وفي وجود أشياء هي من الناس، وفي جميع الأحكام التي تبدوأوضح القضايا وأكثرها بداهة، والإنسان بعد أن يكون قد شك في كل هذا يكون قد تهيأ إلى أن يصل إلى اليقين الأول، وهويقين النفس أوالكوجيتو" لأن ثمة شيئا واحدا يظل دائما بمتأى عن الشك وهو الفكر، وحتى ولو فرقنا أن الإنسان شك في أنه يفكر. تمثل هذا الشك يقتضي أن يفكر، لأن الشك ضرب من ضروب التفكير " فأنا أفكر أي أشك" وبذلك وضع " ديكارت" أساس اليقين الأول وهو يقين الفكر" وقال عبارته المشهورة " أنا افكر، إذا أنا موجود".[2]

وقد وصل فيها إلى حقيقة وجوده إبتداءا من الفكر، بعد أن كان قد وصل إلى حقيقة التفكير نفسه إبتداءا من الشك، بحيث نستطيع أن نلخص فكر "ديكارت" على هذا النحو" أنا أشك فأنا إذن أفكر" وأنا أفكر فأنا إذن موجود:، إن الشك المنهجي لا يرمي إلى هدم إمكانية المعرفة، كما هو الحال في الشك المذهبي، بل هو يرمي على العكس، للوصول إلى المعرفة اليقينية وإقامتها على أسس سليمة فهناك إذن فارق كير بين الفيلسوف صاحب الشك المذهبي والفيلسوف الذي يستخدم الشك المنهجي.

---

[1] أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، د ط، بيروت، لبنان، 2011، ص 83.

[2] أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 84.

المطلب الثاني: الشك عند اليونان

أ/ أكسينوفان

لقد بزغ فجر الشك عند اليونانيين ممثلا في فكر أكسينوفان الشاعر والمفكر اليوناني الذي عاش في تولوفون (570-475 ق.م) وكانت له آراء طريفة عن الطبيعة ووجود الآلهة ومما يذكر عنه أنه هاجم آلهة " هوميروس" وهاجم فكرة تشبيه إليه بالإنسان باعتبارها فكرة خاطئة، مؤكدا أن الله واحد، لا يشبه البشر لا في البدن ولا في الفكر ولكن عقله يحرك جميع الأشياء بما يحتويه من فكر ويقول عن مؤرخوا اليونان المتأخرون أنه كان أول الإيليين لتشابه آرائه معهم في فكرة الإله الواحد، وفي فكرة الوجود عند " بار مانديس" وجدير بالذكر أنه قد ذهب إلى " أن اليقين الكامل فوق إدراك الإنسان لأن فوق الأشياء ظاهر يخفي حقائقها.

ب/ الإيليون:

أطلق إسم الإيلين أول ما أطلق على الفيلسوف " بارمانديس" وتابعه زينون، يتلخص مذهبهم الذي ينطوي على بذور الشك، في أن الواقع الحقيقي واحد غير متغير، وعلى هذا الإعتبار فقد اعتبروا عالم المحسوسات عالم وهو خداع، وجاء "مليسيوس" وهوايلي بنفس المنهج فعدل من آراء سلفه "بارمنيدس" و" زينون" بإضافة اللانهائية والامادية إلى الوجود، مما يذكر عنه أنه وضع حجة ضد الإحساس محتواها، أننا ندرك عن طريق إحساساتنا كثيرة من الأشياء، غير أن هذه الأشياء سرعان ما تتغير ولما كان ذلك مستحيلا وفقا لمبادئ المذهب الإيلي فسيصبح الإدراك أكسي باطلا.

ج-هيروقليدس: كان يرى أن وحدة العالم تكمن في تركيبه وسلوكه، أكثر مما تكون في مادته، وفسر المادة الأولية بالنار، التي تتحكم في التحولات التي ينتقل بها كل مقوم إلى غيره في الكون.[1]

---

[1] محمد علي أبوريان، ديكارت والفلسفة العقلية، مرجع سابق، ص ص 107-108.

وهي مقولات ثلاث كبرى هي (النار، الماء، الأرض)، النار أول شيء على التغير في مذهبه، والتغير أولا الصراع– كما يذكر كان ضروريا للتوحيد الدائم بين الأضداد.

وهكذا وضع هيروقليدس بفلسفة من التغير والصيرورة بذور مذهب الشك الأولي.

د– السوفساطيون

نادوا بنسبة المعروفة، فالإنسان مقياس الأشياء جميعا كما تشككوا في العقائد والأفكار والعرف السائد، وفي المعرفة والقيم وكذلك تشككوا في الديمقراطية الأثينية، وإدعوا ببني القوانين والعدالة والأخلاق والدين في المجتمع كما تلاعبوا بالألفاظ واحتكوا والعلم وتاجروا في المعرفة يقول رسل" لقد قضى بروتانوراس شبابه في تعليم من يرفع له أجره في المدن اليونانية".

وكان هؤلاء المشككون يتجادلون بصفة دائمة، ويعقدون الإجتماعات في منازل الأصدقاء لسماع المحاضرات العلمية لقاء أجور وكانت غايتهم من كل ذلك محاولة إقناع الخصم بأي شكل وبأي منطق، فقد كان الدفاع عن الحق لا يعبر اهتماماتهم، بقدر الإنتصار للفكرة مهما كان الثمن فكانوا يضللون ويفسدون الحقائق.

وكان دفاع السوفسطائي يشمل الدفاع عن الفكرة أوضدها، مادامت تتحقق من ورائها منفعة ذاتية، فاستخدموا المنطق بصورة خاطئة وكن حماسهم المعرفة من أجل نشر مبادئهم والإنتصار على الخصوم، وعرفوا بأنهم أول من أرسى دعائم الذاتية والفردية في مجالي المعرفة والأخلاق، ومن أشهرهم بروتاغوراس وجورجياس.[1]

1–**جورجياس:** كان منطوق مذهبه يعني أنه لا يوجد شيء على الإطلاق وإذا وجد لا يمكن معرفته".

2– **بروتاغوراس:** أن مذهبه في الشك مبني على خداع الحواس.

---

(1) محمد علي أبوريان، ديكارت والفلسفة العقلية، مرجع سابق، ص 108.

ه/ **سقراط:** وقف في مواجهة مذهب الشك، ونادى بتطهير المعرفة واللغة مما لحق بها من فساد، وكان منهجه متبع هو" التهكم والتوليد" الذي أراد به تطهير عقول الناس مما لحق بها من معارف باطلة.

وبذلك يقضي على منهج السوفساطيون في التلاعب بالألفاظ، وكان سقراط يدعوالإنسان إلى المعرفة بالحقيقة وأول هذه المعارف " أن يعرف نفسه بنفسه" ويتمسك بالفضيلة التي كانت شعارا له يقول عنها " **الفضيلة علم والرذيلة جهل**" ، " **أنا لا أعرف شيئا وهذا هوكل ما أعرف**" وقد فهم المؤرخون من معنى هذه العبارة أن منهجه منطويا على ثمة بذور للشك.

و/ **أفلاطون:** فيلسوف المثالية الذي كان أقرب الفلاسفة اليونان روحية وأعمقهم تروي للعقيدة، تأثر بفيتاغورس كما مزج فلسفته بالرياضة والدين بحيث أننا لا نستطيع فهم أفلاطون إلا عن طريق أوغسطين".

قسم الوجود إلى عالمين: عالم العقل وعالم الحس، عالم الروح وعالم المادة الأولية، والعقل المطلق عند أفلاطون هوالكمال المطلق الذي لا يجده زمان ولا مكان ولا يصدر عنه إلا الخير والفضيلة، ويمضي أفلاطون في شرح مذهبه فيذهب إلى أن العقل البشري عندما يعلوفإنه يدرك الحقائق المجردة، بينما في هبوطه يدرك المحسوسات، عن طريق التجربة والمشاهد الحسية، ومن أمثلة الحقائق التي لا تدرك بغير تجربة حسية " حقائق الرياضة العليا".[1]

---

[1] محمد علي أبوريان، ديكارت والفلسفة العقلية، مرجع سابق، ص (109-110)

المطلب الثالث: الشك عند أبي حامد الغزالي

شاهد الغزالي اضطراب الفرق واختلاف المذاهب في الأديان والملل، فشبهه ببحر غرق فيه كثيرون، فأراد أن يقتحم هذا البحر ويغوص فيه.

وكان ذلك بدافع طبيعي منه حيث يقول " **وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور وأني وحيد في من أول أمري وريعان عمري، غزيرة وفطرة من الله، وضعنا في حيلتي لا باختياري وحياتي**"[1].

فولد هذا الفحص في نفس الغزالي الشك، وكان أول شكه في العقائد المقلدة التي لم يجد فيها علما يقينيا حيث يقول " فتحرك باطني إلى طلب حقيقة الفطرة الأصلية، وحقيقة العقائد العارضة بتقليدات الوالدين والاستاذين، والتمييز بين هذه التقليدات وأولهما تلقينات وفي تمييز الحق منه عن الباطل إختلافات"[2].

يحاول الغزالي تبيان حقيقة العلم الحقيقي الذي لا يتقابه شك، وحيث يقول " فقلت في نفسي أولا إنما مطلوبي لعلم الحقائق الأمور، فلابد من طلب حقيقة العلم ما هي؟ فظهر لي أن العلم اليقيني هوالذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم"[3].

إذن فكر علم لاثقة به ولا أمان معه فهو ليس بعلم.

كم إن الغزالي فتش في علومه فوجد نفسه عاطلا من علم هوصرف بهذه الصفة لأن العلم إما أن يكون بالمحسوسات والمعقولات، فالعلم بالمحسوسات لا أمان فيه ولا ثقة يقول أمن أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر، هي تنظر إلى الظل فتركه واقفا غير

---

(1) أبي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، حققه وقدم له جميل صليبا وكامل عياد، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط7، 1967، ص 63.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص ص 63-64.

متحرك، وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجرب والمشاهد بعد ساعة تعرف أنه متحرك وإنه لم يتحرك دفعة واحدة بدل على التدريج ذرة ذرة حتى لم يكن له حالة وقوف"[1].

ومن خلال هذا المثال بطلت ثقة بالمحسوسات، فلعله لا ثقة إلا بالعقليات التي هي من الأوليات ويعطينا الغزالي مثال لقوله:" العشرة أكثر من الثلاثة والنفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد، والشيء الواحد لا يكون حادثا قديماً، موجودا، معدوما، واجباً محالاً."[2]

وكذلك العلم بالعقليات لا يقيس ولا ثقة فيها، وبما يأمن الإنسان أن يكون كل ما يعتقده بعقله من جنس ما أطلع عليه حسه؟ فالعقل يكذب الإحساس والإحساس يكذب العقل يقول " فقالت المحسوسات بم تأض أوتكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات، وقد كنت واثقا بي، فجاء حاكم العقل فكذبي، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي فلعل وراء إدراك العقل حاكما آخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه".

فهذا التحلي لا يدل على استحالته وأيد ذلك بالمنام، حيث يعتبر أن هناك أمورا وأحوالا لا نعتقد لها ثباتا، ولا شك فيها فعند الإستيقاظ نعلم أن جميع معتقداتنا لا أصل له، فيم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في اليقظة أوبفعل، لكن يمكن أن تطرأ حالات تكون نسبتها إلى يقظتك، كنسبة يقظتك إلى منامك، وتكون يقظتك نوما بالإضافة.

فإذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمته بعقلك مجرد خيالات لا على هذه الحالة يدعيها الصوفية إنها حالتهم يقول:" **إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي إذا غاصوا في أنفسهم، وغابوا عن حواسهم أحوالا لا توافق هذه المعقولات**"[3].

---

(1) أبي حامد الغزالي، المصدر نفسه، ص ص 65-66.

(2) المصدر نفسه، ص 66.

(3) المصدر نفسه، ص 67.

فالمتأمل لهذا النزاع بين العقليات والمحسوسات يدل على أسلوب الغزالي، وطريقته الخطابية ومجادلته الكلامية، حيث نجده لا يؤثر في عقل القارئ فحسب بل يستعين على ذلك بشعوره وقلبه وحسه.

فلولا هذا الحدس لما خرج الغزالي من هذا الشك وبقى كما يقول على " مذهب السفسطة" حين لم يجد في الأدلة العقلية ما تطرد الشك من النفس، حيث يقول:" وعادت النفس إلى الصحة والإعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثقة بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هومفتاح أكثر المعارف، فمن ظني أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة، فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة"[1].

فهذا النور مفتاح المعرفة ولولا لما رجع اليقين إلى العقل، فالعقل لا يمكن أن يكون مصدر العقيدة الدينية لأنه عاجز عن حل المعضلات لأن الإيمان يرجع إلى الكشف الباطني فهذا النور مصدر إلهي في بعض الأحيان.

فالمعرفة عند الغزالي قسمان: معرفة حسية ومعرفة حدسية، فالعقل والتجربة هما أساس المعرفة الحسية، أما المعرفة الصوفية فتستند إلى الكشف الباطني.

إذن شك الغزالي شك مخالف لما أتى به اليونان، فشك الغزالي شك منهجي كان غرضه معرفة صحة معارفنا التي اكتسبناها سواء من عند الوالدين أو الأستاذين، فصمودها دليل على صحتها، وزعزعتها دليل على بطلانها.

---

[1] أبي حامد الغزالي، المرجع السابق، ص ص 67-68.

المبحث الثاني: الشك الديكارتي الكوجيتو

لم يكتف ديكارت بتعليق الحكم أمام الأمور الداعية إلى الشك ولوأنه فعل لبقى متلقيا على فراش الشك الوثير، يهرب من الأشباح في أحلامه ولكنه، إذا ينكر كل ما هوغير يقيني كوجود العالم الخارجي ووجود الآخرين ووجود جده بالذات، وحتى العمل الطبيعي للعقل يكتشف فجأة أن هذا الإنكار يتضمن دائما إثبات وجود الكائن الذي يفكر، فإذا كنت أفكر فلأنني موجود.

هذه الملاحظة الوجدانية قصد أمام هجمات الشك المتكررة وتتحدى أي روح شرير لأنه إذا كان يخدعني فلا شك أنني موجود"، وهكذا ينبغي أن أستنتج هذه القضية وأن اعتبرها ثابتة، وهي أنني موجود في كل مرة أتلفظ بها وأتصورها في ذهني"، هذه بعض الظلال التي اتخذها في كتاب التأملات ذلك التعبير الشهير الذي نجده في القسم الرابع من المقالة في المنهج " انا أفكر، إذا أنا موجود" وحيث تشكل " الحقيقة الأولى"، والمبدأ الفلسفي الأول.

ونجد ديكارت يضع في جانب الأمثلة الرياضية البسيطة قوله هذا " **أنه كل واحد من الناس يستطيع أن يعرف أنه موجود وأنه يفكر**"[1].

مع كل شك ديكارت إلا أنه وجد شيئا لا يمكن الشك فيه،وهو واقعة وجوده الخاص " انا أفكر، إذا أنا موجود وإذا كان عليه أن يحاول الشك في أنه موجود، فلابد أن يسلم بأنه يشك لكي يضمن أنه موجود ولذلك فإن " أنا أفكر إذا أنا موجود" ليست قياسيا كما يشرح ديكارت في رده المنشور على المجموعة الثانية من الإعتراضات على التأملات ويرى أنها حركة بسيطة للتفكير تعرف بالحدس الميثالي"[2].

---

(1) جنفياف رويس لويس، ديكارت والعقلانية، ترجمة عبده الحلو، مرجع سابق، ص 37.

(2) وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد محمود، ط1، 2010، بيروت، لبنان، ص 97-98.

إذ أن القول " أنا أفكر" أو" أنا أشك" يتضمن مباشرة " أنا موجود".

ويسأل ديكارت بعد ذلك " ما عساي أن اكون؟" وإجابته هي أنه شيء يفكر، أعني شيئا يشك، ويفهم، ويتصور، وينكر، ويريد، ويرفض، ويتخيل، ويشعر، والشيء الذي يفعل ذلك كله لابد أن يكون نفسيا، أي جوهرا روحيا، يكون التفكير صفتها الأساسية، فلا يمكن أن تكون هناك أفكار بدون مفكر، ولا يمكن لصفة مثل التفكير أن توجد إذا لم يكن هناك جوهر يلازمها.

–وأن ديكارت أثبت يقين وجوده الخاص عن طريق عدم إمكان الشك فيه، لأن الشك فيه معناه تأكيده وتقريره، وذلك هوالنوع الأكثر يقينا من البرهان الفلسفي.[1]

–الكوجيتو: هواختصار لعبارة ديكارت " أنا أفكر، إذا أنا موجود" التي هي اليقين الأول الذي وصل إليه نتيجة لعملية الشك.[2]

– ديكارت يستطيع الشك في كل شيء ما عدا شكه، ولما كان الشك تفكير فأنا أفكر، ولما كان التفكير وجودا فأنا موجود[3].

إذن " أنا أفكر، إذا أنا موجود" هذه الحقيقة الراسخة في ذهن ديكارت التي لا يستطيع شك أواله مضل أوشيطان ماكر أن يصيبوا بشيء مهما فعل، لذا يقول في كتابه التأملات " **فليضلني ما يشاء، إنه عاجز أبدا عن أن يجعلني لا شيء ما دمت أفكر في شيء**".

–عندما نتحدث عن هذه العبارة " أنا أفكر، إذا أنا موجود " ينبغي تحليل كل حد من حدودها، الفكر عند ديكارت هوحالة من حالات الشعور والعاطفة والإرادة.

---

(1) وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 98.

(2) ديف روبنسون، وجودي جرفز أقدم لك ديكارت، مرجع سابق، ص 61.

(3) محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص 111

ولكن ما هو الموجود الذي يعنيه ديكارت بعبارة " أنا موجود" . غنه وجود كائن مفكر، وحتى هذه اللحظة لا نعرف وجود أسواه فديكارت يبدأ من الفكر وينتهي إليه كما يقول هاملان.

أما لفظ " أنا" ولفظ " إذن" ، فلفظ " انا" ضمير متكلم تبين أن ديكارت كان يشعر شعورا مباشرا بحضور شخصه من حيث أنه يفكر[1].

فالفكر في قضية الكوجيتو يتجلى حاسما للشك من جهة أو مرتبط إرتباطا ضروريا بالوجود من جهة أخرى، بحيث لا يمكن عزل الفكر دون الوجود، لأنه في الحقيقة لا يوجد إلا وجوده ككائن مفكر[2] ولذلك يقول " **ثم لما اختبرت بانتباه ما كنت عليه رأيت أني قادر على أن افرض أنه لم يكن لي جسم، وأنه لم يكن هناك أي عالم، ولا أي حيز أشغله ولكنني لست قادرا من أجل هذا، على أن أفرض أنني لم أكن موجود في حين أنه لوكففت عن التفكير وحده، وكان كل ما بقي مما فرضته حقا لم يكن لي مسوغ للإعتقاد بأنني كنت موجودا**"[3].

" فالكوجيتو" أخرج ديكارت من مرحلة الشك ومنحه أول حقيقة يمكنه أن يبني إعتمادا عليها، ولما توصل ديكارت إلى هذه الحقيقة ليعرف ما الذي يجعل منها قضية يقينية، يقول:" أنا أفكر، إذن فأنا موجود، يجعلني أثق من أنني أقول الحق، إلا كوني أرى بكثير من الجلاء لأجل التفكير، فالوجود واجب، فحكمت بأنني أستطيع أن اتخذ قاعدة عامة"[4].

---

[1] جان فال، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، ترجمة فؤاد كامل، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د س، ص ص 9-10.

[2] الربيع ميمون، مشكلة الدور الديكارتي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الرغاية، الجزائر، ط1، 1982، ص ص 30-31.

[3] ديكارت، مقال عن المنهج، مصدر سابق، ص ص 150-151.

[4] المصدر نفسه، ص ص 154-155.

وبما أن البداهة أساس الحقيقة إتخذ لنفسه قاعدة عامة يميز بها اليقين عن غيره " إن الأشياء التي نتصورها تصورا أقوى الوضوح والتميز هي جميعا حقيقة، غير أن هناك بعض الصعوبة في أن تبين ما هي الأشياء التي نتصورها متمايزة"[1].

إذن فالوضوح والتميز هما علامة اليقين وشروطه وخدماته، لأن ثبوتهما يحملنا على التصديق، ويجعلنا نطمئن إلى ما ندركه.

وتكون هذه الحقيقة في فلسفة ديكارت حجر الزاوية ونقطة الإنطلاق اليقين الفلسفي، الذي يحاول ان يخرجه من التهور إلى الوجود، ومن الذاتية إلى الموضوعية ويحاول أن يثبت عن طريق تلك الحقيقة الذات والموضوع معا، فبدأ بذاته واستدل على وجودها بتلك الحقيقة قائلا " أنا أفكر، إذا أنا موجود"[2].

المبحث الثالث : الآنية: (ماهيتي)

" **أنا موجود كمفكر**" إدراك بسيط مباشر، أي حدس عقلي لماهيتي الأصلية، فماهيتي إذن إنني مفكر ولا يمكن أن أشك في أنني أفكر ما دام الشك تفكير، وإذا حدث أني فرضت أنني لا أفكر أنقطع عن الوجود[3].

ولذلك صرح ديكارت في تأملاته قائلا:" **أنا موجود، هذا أمر ثابت لكن كم من الوقت؟ مادمت أفكر إذا انقطعت عن التفكير إنقطعت ربما عن الوجود، إنقطاعا خالصا**"[4].

نستنتج من هذا أن الفكر وحده لا يمكن أن ينفصل عن الآنية من غير أن تنقطع عن الوجود، لذلك فالآنية شيء مفكر، فهذه الآنية تثبت نفسها بصيغة المتكلم وتضع وجود آنية

---

(1) ديكارت مقال عن المنهج، مرجع سابق، ص ص 154-155.

(2) محمد بافزا الصدر، مرجع سابق، ص 112.

(3) نظمي لوفا، مرجع سابق، ص 97.

(4) رينيه ديكارت، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى، تر كمال الحاج ، منشورات عويدات، بيروت ، ط 4، 1988. ، ص ص 41-42.

واقعية (Ego existo) فهذه الآنية الموجودة طبيعة خالصة وليست صورة مجردة كالفكرة والكلية إذن الفكر عند ديكارت يصل إلى الوجود الفعلي إنطلاقا من وجودنا الخالص.[1]

فالتفكير هو الإدراك والإرادة والتخيل والإحساس:" **إذن أي شيء أنا؟ أنا الشيء يفكر، وما هو الشيء الذي يفكر؟ هو شيء يشك، يدرك، ويتذهن، ويثبت، وينفي، ويزيد، ويرفض، ويتخيل أيضا، ويحس**"[2].

فمن غير هذه الأفعال لا يمكن أن تكون أي وجدان ومعرفة، فماهيتي حقيقة موجودة قائمة بذاتها عبر غير محتاجة لغيرها كي توجد، إنما هي أنني شيء يفكر:" **ولقد عرفت من ذلك أنني كنت جوهرا كل ماهيته أو طبيعته ليست إلا أن يفكر، ولأجل أن يكون موجود فإنه ليس في حاجة إلى أي مكان ولا بعتمد على أي شيء مادي، بحيث أن الآنية التي أنا بها هي متمايزة تمام التمايز عن الجسم...**"[3].

وهذا يدل على أن التفكير الذي هو ماهيتي ليس مشارك في خصائص الأجسام وإنما متمايزة عنها.

فالشيء المفكر لا يقوم بأي وظيفة حياتية كما أن تعريف الفكر بالوجدان، والوعي الذاتي، يقتصر فقط على ما نعنيه:" **بالأفعال الخاصة بالإرادة والإدراك**" دون مما يترتب عليها.[4]

فالذات المفكرة ليست إدراكا خالصا والعقل يفترقان نوعا من القبول بالأحكام العقلية، ومع ذلك فإن الوجدان الذي يصادفه في كل أفق فكري هو أكثر قربا من طبيعة الفكر الخالص أو العقل وهو يدرك نفسه كوجود مستمر على الرغم من تباين الحالات النفسية التي يوحدها في ذاتها.

---

(1) جنفياف روديس، مرجع سابق، ص 40.

(2) ديكارت، تأملات ميتافيزيقية، مصدر سابق، ص43.

(3) ديكارت، مقال عن المنهج، مصدر سابق، ص ص 153-154.

(4) جنفياف روديس، مرجع سابق، ص 42.

جملة القول: أنني أدرك ذاتي على أنني روح خالص، عندما ألاحظ هذا الرجوع الدائم إلى الآنية، أيا كان موضوع التفكير.[1]

هذه هي الخلاصة التي ينتهي إليها ديكارت من تحليل قطعة الشمع في التأملات الثانية، حيث يميز الأغراض المتغيرة من الجوهر الثابت الذي هو المقدار:" **لكن بينما أنا أتكلم، إذا بها توضع قرب النار، فيتطاير ما بقي من طعمها، وتتلاشى رائحتها، ويتغير لونها، ويذهب شكلها، ويزيد حجمها، إذ تصير من السوائل....**".[2]

فالتأمل العقلي يكتشف تحت تغير اللون والطعم والصلابة والليونة، ضرورة وجود شيء ثابت.

ويتساءل فيلسوفنا:" **أتزال الشمعة هي ذاتها بعد هذا التغير؟**" فيجيب قائلا:" **الحق إنه باقية، ولا أحد يستطيع أن ينكر ذلك أو يحكم حكما مخالفا**"[3] ويعطينا مثال:"... **عندما ألاحظ من نافذتي قبعات أو معاطف، قد تكون أغطية لآلات صناعية كاللوالب؟ مع ذلك أحكم أنهم أناس، إذن أنا أدرك بمحض في ذهني من قوة الحكم ما كنت أحسب أني أراه بعيني**"[4].

إذ من الممكن أن نصادف بعض الأخطاء في أحكامنا، فهذا الخطأ ينبأ بوجود ذهن بشري فهو وحده قادر على تجاوز الإنطباعات الحسية المتعاقبة، والتي يمكن أن تتعاقب بالشكل نفسه على حواس مطلق الحيوان.[5]

---

(1) المرجع نفسه، ص ص 42-43.

(2) ديكارت، تأملات ميتافيزيقية، مصدر سابق، ص 46.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص 48.

(5) جنفياف روديس، مرجع سابق، ص 43.

فالنتيجة التي ينتهي إليها ديكارت هو إدراكه لذاته إدراكا أكثر وضوحا وتميزا:" ... **أني أعرف ذاتي الآن معرفة أشد بداهة ووضوحا وتميزا، ما دامت كل الأسباب تثبت لي أكثر أيضا طبيعة روحي...**"[1].

فطبيعة الذهن تثبت ذاتها لأن الذهن يرفض قبول الإنطباعات الحسية المتعاقبة، كما هي الحال في الحيوان، فالوجدان المرتبط التغير هو خاصية الذهن البشري لأنه يتمسك بالثابت وراء المتحول وبالوحدة وراء الكثرة ولذلك فأنا أدرك ذاتي على أنني عقل.[2]

المبحث الرابع : الإمتدادات والإنتقادات

المطلب الأول: غوتفريد لايبنتز

إنه من المستغرب حقا، أن يحصى لينتز من بين تلاميذه ديكارت وهو يصرح باستقراء بأنه لا يمت إليه بصلة، وتعتبر إنتقادات ليبنتز أقوى الإنتقادات التي وجهت إليه ويظهر ذلك بعد هجوم عنيف شنه عليه في " صحيفة العلماء عام 1697م حيث يقول:" **إني تعودت أن أصف فلسفة ديكارت بأنها غرفة انتظار الحقيقة، وأنه من الصعب أن نتابع التقدم بمعزل عنها، ولكننا نحرم أنفسنا الحقيقة إذا توقفنا عند هذا الحد**"[3].

أما انتقاده للمنهج فيرى لينيز أن المنهج الديكارتي لا يفيد الباحث شيء لانه لا يعلمه كيف يميز بين البداهة الحقيقية عن البداهة الوهمية ولا كيف يحلل، ولا يعرفه بالتالي كيف يركب ويحصي، فتعاليم هذا المنهج في نظره تشبه تعاليم الكيميائي، الذي يقول لمن يدرس عنده " **خذ ما يجب عليك أن تأخذه أعمل كما يجب أن تعمل، وستحصل على ما ترغب فيه**"[4].

---

(1) ديكارت، تأملات ميتافيزيقية، مصدر سابق، ص 50.

(2) جنفياف روديس، مرجع سابق، ص ص 44-45.

(3) جنفياف روديس، مرجع سابق، ص ص 112-113.

(4) الربيع ميمون، مرجع سابق، ص 54.

فديكارت مثل الكيميائي، ولهذا فيمكن تحويل قواعد منهجه إلى تعليمات لتبدي لنا قصورها فنقول:

- **لا تقبل إلا ماهوبديهي.**
- **وقسم مشكلتك إلى ما يجب من الأجزاء.**
- **وأعمل بنظام.**
- **وقم بإحصاءات كاملة.**

-إن قواعد المنهج الديكارتي تظهر لنا نقائصها، بإعطائها هذه الصيغة وتدعونا إلى محاولة استكمالها[1].

فلايبنتز يعتبر المنهج جيد من حيث غاياته، ولكنه غير كاف بالنظر إلى غموض قواعده ولذلك أعاد ليبتنز النظر في مدلول الأفكار الجلية الواضحة". وأضفي عليها الدقة، التي جعلتها أكثر فعالية[2].

-فالبداهة الديكارتية غير كافية للحكم على الحقيقة بأنها يقينية لأنه لا يمكننا أن نقبل شيئا في نظرة على أنه حق إلا إذا عرفناه كذلك بصفة صورية، أي أننا لا يمكننا الثقة بالبداهة إلا إذا أحطنا بموضوعها إحاطة كاملة وهي إحاطة نصل إليها بواسطة الحد الحقيقي، لأنه يقدم لنا المحدود واضحا ومتميزا، لأنه يعرفنا بمركباتها وتركيبها.[3] فالأوهام المضللة، كثيرا ما ترينا البداهة الزائفة على أنها حقيقة.

ولذا وجب الإحتراس، وأن لا نعتمد على شعورنا وحده للحكم على البداهة بالكمال أو النقص.

فديكارت لم يعلمنا هذه الأمور، ولم يقترح علينا سوى بداهة ناقصة. وبالتالي لم يستطع أن يعلمنا وسائل التحليل السليم فأكد عند لايبنتز هومفتاح التحليل، فبواسطته نعرف المحدود

---

(1) مرجع نفسه، صفحة نفسها.

(2) جنفياف روديس، مرجع سابقن ص 113.

(3) الربيع ميمون مرجع سابق، ص 55.

معرفة بديهية، فالتحليل في نظره لا يعني سوى حل المحدود إلى الحد، والقضية والإستدلال.[1]

وهكذا لم يستطع ديكارت أن يبين لنا كيف نركب لأنه لم يقدم لنا الكيفية السليمة التي نحلل بها.

فالتحليل والتركيب يستدعي كل منهما الآخر ولا نستطيع أن نقوم بأحدهما بمعزل عن الآخر، فمن المعلوم أننا لا نحلل إلا ما كان مركب ولا نركب إلا ما كان محللا.

فالتحليل الديكارتي ناقص لأنه لا يقوم على البداهة كاملة، وكذلك التركيب الذي يعتمد عليه وأما الإحصاء الذي تطلبه قاعدة المنهج الرابع يعتبرها عملية لا تحمينا من أنواع الضعف التي يمكن أن تصاب بها ذاكرتنا ولذلك يعرض عنها ليبنتز.[2]

المطلب الثاني: هوسرل

يقرر ميشال فوكومن خلال قراءته لفلسفة هوسرل بمركزية اللحظة الديكارتية في إنشاء التفلسف على محور حدثاوي، فلحظة بدء الكتابة الديكارتية تزامنت مع واقع معرضي متشتت أوما يسميه هوسرل " الأزمة" وكان ديكارت جامع مما بقي من العلوم.[3]

فالسؤال المتردد حسب فوكووالذي بحث فيه هوسرل هوكيف أمكن لديكارت أن يجسد فعل التجميع هذا؟.

-كان المطلب حينئذ علم كوني يفترض حتما مطلبا منهجيا، أوما يمكن التعبير عنه " المنهج الكوني" لا "علم كوني" إذ لا تبني وحدة العلوم في غياب المنهج الممكن لذلك، ثم كيف نجعل هذه الفلسفة علمية غير متعارفيه لذلك كان الإصلاح الديكارتي منشغلا على مهمتين:

*__مهمة أولى:__ مقصدها العلم الكوني.

---

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها

(2) المرجع نفسه، ص ص 55-56.

(3) محسن صخري، فوكو قارئا لديكارت، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1997، ص 45.

* **مهمة ثانية:** مبتغاها الفلسفة كعلم.

-هذا الإهتمام الواثق بالفلسفة من جهة، وبالعلم من جهة أخرى كان بحسب هوسرل بمثابة المحور المركز لمشروع التفلسف الحداثوي لديكارت، وطالما أن هذه المهمة لا تتحقق دون محرك ينقلها من من طور الإمكان إلى طور الفعل[1].

فالشك الديكارتي يقابله " الإبوخيه" والإبوخيه عند هوسرل هوضع الآراء والمعتقدات والأحكام " بين قوسين" وهذه هي نقطة البداية في المنهج الهوسرلي وهذه البداية تتضمن مبدأين:

-**مبدأ سلبي:** وهويتألف من رفض كلما كان ليس ثابتا بالبرهان.

- **مبدأ إيجابي:** يتلخص في الرجوع إلى الحدس المباشر في إدراك الأشياء باعتبار أن الحدس الينبوع الأول لكل يقين، فالتوقف والحدس هما قاعدتان رئيستان في المنهج الظاهري.[2]

-فالفلسفة "الفينومينولوجية" في فلسفة " ماهيات" فالحدس عنده يدور حول " الماهيات الخالصة" وهنا يأتي الخلاف بين ديكارت وهوسرل فديكارت يقف عنه " الأنا التجريبية" كأنها شيء مطلق، بينما هوسرل يضمها إلى ما وراء ذلك ليصل إلى " أنا " متعالية تتضمن سلسلة " الأنوات" المتعالية الأخرى فهذه " الأنوات" تحدد ظواهر الشعور المتعالي والطبيعي بكل ما فيها من تنوع، لكن ينبغي أن يكون وراء هذا التعدد " أنا مطلقة" تكون هي المكونة الكلية والتي لا تتكون أبدا والتي هي إليه.

يرى هوسرل في كتابه " تأملات ديكارتية" أن بداهة القضية " أنا أفكر إذن أنا موجود" إذا بقيت هذه البداهة هكذا صارت مجدية وذلك لأن ديكارت أهمل أمرين إثنين.

---

(1) المرجع نفسه، ص ص 95-96.

(2) فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص 164.

المطلب الثالث: الفلسفة الوجودية

إذا كان ديكارت قد انطلق من مسلمة أساسية مفادها " أنا أفكر إذا أنا موجود" فإن الوجودية اعتبرت أن هذه المسلمة تناقض الحقيقة والواقع، لأنها تبتعد بالإنسان عن حقيقة وعيه لنفسه واتصاله لها، إن كل ما يتصور خارجا عن هذه الحقيقة الأولية، حقيقة " أنا أفكر إذا أنا موجود" يقع في عالم إمكانات لا يتص بالواقع والحقيقة وهو لذلك يذوب في العدم، وعليه فإننا إذن أمام حقيقة هي في متناول الجميع وهي لا تعي أكثر من أن علينا أن يعي أنفسنا بأنفسنا وبدون أي وساطة كانت[1].

وعليه فإن الوجودية يرفضها " **لفكر ديكارت المجرد**" الذي يحلق بعيدا إلى " العقل المحض" إنما تهدف إلى حملنا من جديد على الإحتكاك بالوجود الحقيقي، الوجود كما يجب أن يعيشه كل فرد منا، كما تهدف أيضا إلى حملنا على الإحتكاك كل على حدة بالغصة المخبأة أو المعترف بها، غصة الإهمال والموت وزوال الزمان[2].

وباختصار فإن " الوجودية" يرفضها " لديكارت" إنما تقود ثورة على جميع المذاهب العقلية- إبتدأ من أفلاطون- هذه الأخيرة التي تسعى إلى الحقيقة الشخصية أو " الموضوعية" بالنسبة لكل الناس على نزوع الإنسان الشخصي وتتجاوب مع تطلعاته وتحل له مشكلاته الذاتية ولكن وإن زعمت فإنها تبقى فلسفة منسلخة عن الواقع ومادته الأولية " الإنسان".[3]

ذلك أن الشعور بالوجود لا يكون عن طريق الفكر المجرد لأن هذا الأخير هو الذي ينتزع نفي من تيار الوجود الحي وينعزل بها في ملكة حياته أخرى تذهب منها الحياة المتوترة، الجادة ولا يسودها فعل أو حركة بل صيغ خارجية عن الوجود وعليه يرى رائد

(1) جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تقديم كمال الحاج، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، سنة 1978، ص ص 70-71.

(2) بيرد وكاسيه، الفلسفات الكبرى، ترجمة جورج يونس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1977، ص 195.

(3) عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2005، ص 125.

الوجودية " سرين كير كيغارد" :" ضرورة استبدال مقولات العقل والفكر مقولات العاطفة والإرادة".[1]

المطلب الرابع: تواصلية بول ريكور

يرى " بول ريكور" أن الكوجينو الديكارتي الشهير الذي يمكن الوقوف عليه مباشرة في إمتحان الشك، إنما يمثل حقيقة باطلة بمقدار ما هي لا تقهر، فأنا لا أفكر أنه يمثل حقيقة، إنها حقيقة تطرح نفسها بنفسها، فبهذا المعنى فإنها لا تستطيع أن تكون ممتحنة، ولا أن تكون مستنتجة فهي تمثل في الوقت ذاته وضع الكائن ووضع الفعل.[2]
كما يمثل وضع الوجود ووضع عملية التفكير " فأنا أكون" و " انا أفكر" و " موجود" ويعني فكر بالنسبة إلى " فأنا موجود، بما أنني أفكر" فهذه الحقيقة باطلة، إنها تمثل الخطوة الأولى لا يمكن أن تتبع بأي خطوة أخرى مادام " الأنا" في " أنا أفكر" لا يرى في مرآة اشيائه وأعماله، وأفعاله[3].

وهكذا يكون التفكير نقدا ليس بالمعنى الكانتي لتبرير العلم والواجب ولكن معنى أن الكوجيتو لا يمكنه أن يكون ممتلكا إلا بالتفاف تفكيك يطبق على وثائق حياته، وهكذا يكون الفكر امتلاكا لجهدنا فيسبيل الوجود.

فالكوجيتو بمثابة مكان فارغ، كان يملأه دائما كوجيتو مزيف فلقد علمتنا المذاهب الفلسفية وعلمنا التحليل النفسي خصوصا أن الوعي المزيف بأي اكتشاف يتعلق بذات الكوجيتو في وثائق حياته، ذلك لأن فلسفة التفكير يجب أن تكون على العكس من فلسفة الوعي[4].

---

[1] هوسرل، مرجع سابق، ص 102.

[2] بول ريكور، صراع التأويلات، ترجمة منذر عياش، ومراجعة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط1، 2005، ص 49.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه، ص 50.

وهكذا يجب على التفكير أن يكون غير مباشر بشكل مضاعف، لأن الوجود لا يثبت نفسه إلا في وثائق حياته لأن الوعي بداية هو وعي زائف، لأنه يجب الإرتفاع دائما بالتصحيح من سوء الفهم إلى الفهم[1].

[1] بول ريكور، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.



الخاتمة

الخاتمة:

من خلال ما سبق في هذا البحث نخلص إلى جملة من النتائج هي بمثابة الإجابة عن الإشكالية التي تم طرحها في المقدمة وهي كالآتي:

1. فعقلانية ديكارت ترتكز على الحدس والبداهة فكل حدس هو حدس فكرة واحدة واضحة ومتميزة، حيث أنه لا يوجد " حقيقة" ما إلا ما هو معترف بها بوضح وتمييز وقد يكون من الضروري تقسيم المسألة إلى مسائل صغيرة قدر الإمكان فتبدأ بالأفكار الأكثر بساطة لتصل إلى الأفكار الأكثر تعقيدا مركزا على دور الحدس وفي كل مرحلة يجب علينا التأكد والضبط بحيث لا تترك شيئا يفلت من يقظة الفكر، وهكذا نصبح قادرين على الخلوص باستنتاج فلسفي، فهذا المنهج المستنبط من الرياضيات هو نموذج كل معرفة، وجوهر هذه المعرفة الحدسية، فما يميز ديكارت عن علماء عصره البحث عن يقين يتجاوز الإحتمال.
2. الشك عند ديكارت هو أساس فلسفته وروحها المحرك، فالشك عند ديكارت يختلف عما قبله، فلم يعد الشك حالة تمنع من قول الحقيقة أو شك من أجل الشك كما عند اليونان، أو هو شك مرضي ويحتاج إلى إنقاذ بل هو شك واعي ومنهجي للوصول إلى المعرفة، وشك قطعي وجذري، أما أنه شك عام، حيث نجده يشك في ما تقدمه لنا الحواس، والعلوم العقلية باعتبار أن أعلم الناس يغلطون في أبسط المسائل، غير أن ديكارت يستثني حقيقة واحدة " أنا أفكر إذن أنا موجود" باعتبارها حقيقة واقعية لا شك فيها.
3. أما الآنية هي ذات مفكرة تملك الوجود عن طريق الفكر، فهذه الذات تدرك نفسها بنفسها غير محتاجة لغيرها لكي توجد، فهذه الذات تدركها إدراكا واضحا متميزا.

4. رغم الدور الذي لعبه ديكارت، إلى أن العقول جميعا لم تجمع إلى ما ذهب إليه، فنجد مثلا ليبتنز الذي اعتبر المنهج الديكارتي له نقائص ولا يفيد الباحث في شيء، لأنه لا يعلمه كيف يميز بين البداهة الحقيقية عن البداهة الوهمية، ولا كيف يحلل، ولا يعرفه وبالتالي كيف يركب ويحصي.
5. أما هوسرل فهو يعتبر ديكارت الفيلسوف الذي قام بأهم إكتشاف في تاريخ الفلسفة أي اكتشاف قارة الكوجيتو، كما أنه يسمى الفينومينولوجيا في كتابه.

هذا بكونها ديكارتية جديدة فمن خلال دراسة " تأملاته" إستطاعت الفينومينولوجيا الناشئة حديثا أن يتحول إلى نموذج جديد للفلسفة المتعالية إلى درجة يمكن أن يسميها على وجه التقريب ديكارتية جديدة، على الرغم من كونها وجدت نفسها مضطرة إلى استبعاد – تقريبا– كل المضمون المذهبي المعروف عن الديكارتية، ومضطرة إلى تبديل بعض القضايا الديكارتية تبديلا جذريا فقضية " أنا أفكر إذن أنا موجود" إذا بقيت هكذا صارت مجدية، ولذا وجب أن نوسع مضمون " أنا أفكر" فكل حالة من حالات الشعور تقصد إلى شيء من الأشياء، وإنما تحمل في ذاتها بما هي في شيء مقصود موضوعها " المفكر به"

ونجد أيضا من أهم المدارس التي عارضت ديكارت المدرسة الوجودية والمدرسة التأويلية، فالمدرسة الوجودية التي اعتبرت فلسفته منسخة عن الواقع، ذلك أن المسلمة التي إنطلق منها ديكارت أنا أفكر إذن أنا موجود" فهذه المسلمة تتناقض الواقع والحقيقة.

أما المدرسة التأويلية تأخذ بول ريكور نموذج، الذي إعتبر الكوجيتو حقيقة باطلة ووعي بدايته زائفة، ما دام لا يرى في مرآة أشيائه، وأعماله وأفعاله.

غير أن هذه الإنتقادات لا تنقص من أهمية ديكارت، وقد بينت أبحاث العلماء في السنوات الأخيرة، أن " أوغست كونت" صاحب الوضعية المنطقية، فقد عاش في جو فكري ديكارتي والمنهج الذي أوصى باتباعه منهج ديكارتي في بدايته، ويعد أيضا فيلسوفنا مصدر إلهام لفلسفات الحرية التي ظهرت فيما بعد سواء عند سارتر، أو عند الأفغاني ومحمد عبدو، وعمد بإقبال .

وهذا ما أكد عليه العالم " **هكسلي**" أينما أخذتما أثارا من الآثار التي تميز بها الفكر الحديث في مجال العلم أو في مجال الفلسفة، تبنيتم أن فحوى ذلك الفكر ومادته، إذ لم تقل صيغته وصورته، كانت حاضرة كلها في ذهن رجل عظيم.."

المصادر والمراجع

I) المصادر

1. رينيه ديكارت مقال عن المنهج تر محمود محمد الخضري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1968
2. رينيه ديكارت، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى، تر كمال الحاج ، منشورات عويدات، بيروت ، ط 4، 1988.

II)المراجع

1. إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء، ليبيا، الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001
2. أبي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، حققه وقدم له جميل صليبا وكامل عياد، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط7، 1967.
3. أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، بيروت، لبنان، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2011.
4. إميل برهيه، تاريخ الفلسفة ترجمة جورج طرابلسي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ج4.
5. براتراند راسل، حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا، ج2، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، الكويت، 1983.
6. برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د ط، سنة 1977 .
7. بول ريكور، صراع التأويلات، ترجمة منذر عياش، ومراجعة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط1، 2005
8. بيرد وكاسيه، الفلسفات الكبرى، ترجمة جورج يونس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 977

9. جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تقديم كمال الحاج، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، سنة 1978

10. جان فال، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، ترجمة فؤاد كامل، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د س

11. جون كوتنفهام، العقلانية، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، الناشر مركز الإفاد الحضاري، حلب، ط1، 1997

12. جونفياف رويس، ديكارت والعقلانية، ترجمة عبده الحلو، منشورات عويدات بيروت، لبنان، ط4، 1988

13. حاجب المعطي، تيارات فلسفية حديثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1974

14. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2003، الجزء الثالث

15. ديف روبنسون وجودي جروفز، قدم لك ديكارت، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، شؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2001،

16. الربيع ميمون، مشكلة الدور الديكارتي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الدعاية، الجزائر، ط1، 1982

17. الزواوي بغورة: ما بعد الحداثة والتنوير، موقف الأنطولوجيا التاريخية، دراسة نقدية، دار الطليعة بيروت، ط1، 2009.

18. شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا من النهضة على الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000

19. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة المربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة 1984، ج1، ص 493,.

20. عبد الله ادا الكوس: الحداثة جدل الكونية والخصوصية، المركز الثقافي االعربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014.

21. عمر مهبيل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2005.

22. فرغلي علي تسن: تاريخ أوروبا المعاصر، د تر، دار الوفاء للطباعة، الاسكندرية، د ط.

23. فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993

24. كافين رايلي: الغرب و العالم، القسم الاول، تر عبد الوهاب المسيري ، هدى عبد السميع حجازي ، مراجعة فؤاد زكرياء، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب، الكويت ، العدد 90 ، 1985

25. محسن صخري، فوكوقارتا لديكارت، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1997، ص 45.

26. محمد الحداد: ديانة الضمير الفردي ومصدر الاسلام في العصر الحديث، دار الهدى الاسلامي، ط1، 2007 .

27. محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص 111

28. محمد بيلا، عبد السلام عبد العالي، الفلسفة الحديثة، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، 2001

29. محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة، تطور الفكر العلمي، مركز الدراسات الوحدة العربية

30. محمد علي أبوريان، ديكارت والفلسفة العقلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1996

31. محمد فتحي الشنيطي، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث الفلسفية الحديثة، المصرية العامة للكتاب، 1977

32. وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد محمود، ط1، 2010، بيروت، لبنان

III)المعاجم

1. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د ط، سنة 1983
2. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والأنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، سنة 1982، الجزء الثاني.
3. جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004

IV) الموسوعات

1. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، باريس، الطبعة الثانية، سنة 2001.



ملخص

أسس الفكر العقلاني عند رونيه ديكارت

ظهرت الفلسفة الحديثة في القرن 17 ميلادي، بعد مخاضات عسيرة شهدتها أوروبا والعالم الغربي بصفة عامة إثر صراعها المرير مع الكنيسة ورجال الدين وهذا ما أفرز تيارات تحررية خلال القرنين 15و16م، أبرزها النزعة الإنسانية وحركة الإصلاح الديني كل هذا توج بظهور المذهب التجريبي مع فرانسيس بيكون والتيار العقلاني مع رونيه ديكارت في فرنسا حيث ان ديكارت يعتبر هو مؤسس الفلسفة الحديثة ولقب ب أبو الفلسفة الحديثة حيث أنه رسم منهجا ومذهبا خاصا به وقدم نظريات في العلم كالرياضيات والفيزياء ، وأن العقل عنده مهما كان موازي للواقع يبقى عقل إبستيمي إنساني اي ليس هناك وجود عقلي خارج الإنسان، ويوحد مجال المعرفة ويركز على ضرورة الوضوح واليقين والحدس والاستدلال، وشبه ديكارت الفلسفة الحديثة بالشجرة التي جذورها الميثافيزيقا وجذعها هو علم الطبيعة او الفيزياء وفروعها هي الطب والميكانيكا والأخلاق، وأن فلسفته رمز للحداثة الغربية وان الشك أساسها وهو شك واعي ومنهجي للوصول إلى المعرفة وليس شك من أجل الشك كاليونان، او شك مرضي، غير ان ديكارت يستثني حقيقة واحدة "أنا أفكر إذا أنا موجود"باعتبارها حقيقة واقعية لا شك فيها، وكأي مذهب وفلسفة نجد لها إمتدادات وإنتقادات مثلا نجد لايبنتز الذي اعتبر المنهج الديكارتي له نقائص ولا يفيد الباحث في شيء، أما هوسرل اعتبر ديكارت الفيلسوف الذي قام بأهم إكتشاف في تاريخ الفلسفة اي اكتشاف"الكوجيتو" وسمى الفينومينولوجيا في كتابه أنها"ديكارتية جديدة"، ومن أهم المدارس التي عارضت ديكارت المدرسة الوجودية والمدرسة التأويلية فالمدرسة الوجودية اعتبرت فلسفته منسلخة عن الواقع، وأن المسلمة التي انطلق منها ديكارت- أنا أفكر إذا أنا موجود - ناقض الواقع والحقيقة .
اما المدرسة التأويلية اخذنا بول ريكور نموذجا والذي اعتبر الكوجيتو حقيقة باطلة. وان هذه الانتقادات لا تنقص من أهمية رونيه ديكارت شيئا.

الكلمات المفتاحية : ديكارت – الكوجيتو – الاستدلال – المنهج - الحداثة

Abstract **The Foundations of Rational Thinking Rene Descartes**

Modern philosophy appeared in the 17th century AD, after difficult struggles in Europe and the Western world in general. following the bitter struggle with the Church and the religious man, is resulted liberation movements during the 15th and 16th centuries AD, and most notable is humanism and the religious reform movement these movements helped in the emergence of the experimental doctrine with Francis Bacon and the rationalism with René Descartes in France, where Descartes is considered the founder and the father of modern philosophy, as he drew a method and doctrine of his own and introduced theories in science such as mathematics and physics, and mind for him, no matter how consistent with reality, remains an epistemic human mind, meaning there is no mental existence outside man. Descartes unites the field of knowledge and focuses on the necessity of clarity, certainty, intuition and inference. Decartes compared modern philosophy to the tree whose roots are metaphysics and its trunk is the science of nature or physics and its branches are medicine, mechanics and ethics. The philosophy of Descartes is a symbol of Western modernity, and the doubt is its basis and systematic to reach knowledge, as it is not the doubt for the sake of the doubt like Greece, or pathological doubt, but Descartes excludes one fact “I think therefore I am” as an unquestionable fact...Like any doctrine and philosophy it has extensions and criticisms. For example, Leibniz, who considered the Cartesian method not benefit the researcher in anything. As for Husserl, he considered Descartes the philosopher who made the most important discover in the history of philosophy, is “cogito” and called phenomenology in his book that it is a “new Cartesian.”Among the most important schools that opposed Descartes was the existential school and the hermeneutic school. The existential school considered his philosophy alienated from reality, and that the postulate from which Descartes started “I think, therefore I am” contradicts reality and truth.As for The hermeneutic School, Paul Ricoeur as a model, who considered the “cogito” to be a false reality and that criticisms do not devalue the importance of Rene Descartes.

Keywords: Descartes, cogito ،inference ،curriculum ،modernity

Resumes **Les Fondements de la pensée rationnelle chez René Descartes**

La philosophie moderne est apparue au 17ème siècle après JC, après des luttes difficiles vécues par l'Europe et le monde occidental en général, suite à sa lutte acharnée avec l'Église et le clergé, et cela a entraîné des courants de libération au cours des 15ème et 16ème siècles de notre ère, notamment l'humanisme et le mouvement de réforme religieuse. Tout cela a abouti à l'émergence de la doctrine expérimentale avec Francis Bacon et le courant rationaliste. Avec René Descartes en France, où Descartes est considéré comme le fondateur de la philosophie moderne et appelé le père de la philosophie moderne, comme il a dessiné un programme et une doctrine qui lui sont propres et des théories présentées en sciences telles que les mathématiques et la physique, et que l'esprit avec lui, peu importe à quel point la réalité est parallèle, reste un esprit épistémique humain, ce qui signifie qu'il n'y a pas d'existence mentale en dehors de l'homme Il unifie le domaine de la connaissance et se concentre sur la nécessité de la clarté, de la certitude, de l'intuition et de l'inférence, et Descartes a comparé la philosophie moderne à l'arbre dont les racines sont la métaphysique et dont le tronc est la science de la nature ou la physique et ses branches sont la médecine, la mécanique et l'éthique, et que sa philosophie est un symbole de la modernité occidentale et que le doute en est la base, et c'est un doute conscient et systématique pour accéder à la connaissance, pas le doute de Oui, le doute c'est comme la Grèce, ou le doute pathologique, mais Descartes exclut un fait, << Je pense donc je suis>> comme un fait incontestable.

Comme toute doctrine et philosophie, nous trouvons qu'elle a des extensions et des critiques. Par exemple, nous trouvons Leibniz, qui considérait la méthode cartésienne comme ayant des lacunes et ne profitant en rien au chercheur. Quant à Husserl, il considérait Descartes comme le philosophe qui a fait le découverte la plus importante de l'histoire de la philosophie, à savoir la découverte du « cogito » et appelé phénoménologie dans son livre qu'il s'agit d'un « nouveau cartésien ».

L'une des écoles les plus importantes qui s'opposaient à Descartes était l'école existentielle et l'école herméneutique.L'école existentielle considérait sa philosophie comme aliénée de la réalité, et que le postulat à partir duquel Descartes est parti <<Je pense si j'existe>> contredit réalité et vérité.

Quant à l'école interprétative, nous avons pris pour modèle Paul Ricoeur, qui considérait le cogito comme une fausse réalité. Et que ces critiques n'enlèvent rien à l'importance de René Descartes.

Descartes ،cogito ،inférence ،programme d'études ،la modernité